المرأة في روايات غادة السمان

(Al marah fi Rewayaat-e- Ghada al Samman)

Woman in Novels of Ghada al Samman

بحث جامعي لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

محمد ناظم حسين

تحت إشراف

البروفيسور رضوان الرحمن

مركز الدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند

2017

مركز الدراسات العربية و الإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi – 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax: 91-11-2671 7525

Date: 24/07/2017

DECLARATION

I declare that this dissertation entitled **"Woman in Novels of Ghada al Samman"** submitted by me is an original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University/Institution partially or fully.

Mohd Nazim Hussain
(Research Scholar)

Prof. Rizwanur Rahman
(SUPERVISOR)
CAAS/SLL&CS/JNU

Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

24/7/17
Prof. RIZWANUR RAHMAN
CHAIRPERSON
CAAS/SLL&CS/JNU

Chairperson
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

مقدمة البحث

إن بلاد مصر لعبت دورا هاما في إثراء الأدب العربي الحديث عامة والرواية العربية الحديثة خاصة، وتعتبر حملة نابليون بونابرت (1769-1821م) على مصر عام 1798م نهضة علمية وثقافية إذ كانت مصر في منام عميق قبلها، فبثّ فيها نابليون الروح العلمي والثقافي، ونهض الشعب المصري من النوم وكسر أغلال الجمود والركود التي كانت معلقة في الأدب العربي، فتم إنشاء المدارس والمطابع وكثرت الجرائد والصحف والمجلات، وبرزت الأجناس الأدبية منها الرواية والقصة القصيرة والمسرحية وغيرها، فإن الرواية العربية هي أكثر حظا من الفنون الأدبية التي نالت قبولا حسنا في الأوساط الأدبية، ولمعت في سماء الأدب العربي الحديث أسماء قامت بدور فعال في تطوير الرواية العربية لا في البقاع العربية فحسب، بل في بقاع العالم، وإن الأدباء والكتاب قد اتخذوا الرواية مصدرا للتعبير عما يخطر بالمجتمع من أحداث، ووقائع وما يواجهه الشعب خاصة الطبقة الوسطى من القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية والدينية وإضافة إلى المشاكل الأخرى التي جذبت انتباه الكتّاب إلى كتابة الرواية الواقعية والنفسية والتارخية والإسلامية وغيرها، وإن بلاد سوريا أنجبت عديدا من الكتاب والأدباء البارعين الذين خدموا الأدب العربي وكتبوا روايات، وقصصا قصيرة، ومسرحيات، ورحلات، على سبيل المثال: نزار قباني (1923-1998م) وزكريا تامر (1931-م) وحليم بركات (1936-م) وخليل شيبوب (1892-1951م) وسعيد حورانية (1927-1994م) ونديم محمد (1909-1994م) وحنا مينة (1924-م)، وغيرهم كثير، وكل من هذه الشخصيات يتطلب عناية خاصة ودراسة مدققة لذكر إسهاماتهم العلمية وخدماتهم الأدبية ولا يزال المحققون والباحثون يقومون بهذا العمل بإخلاص للغاية، ومن هذه الشخصيات غادة السمان التي اخترتها موضوعا لبحثي، وقد برز اسم هذه الكاتبة في الأدب العربي السوري في الستينات إذ قامت بدور فعال في تطوير الأدب العربي الحديث، واحتلت مكانة مرموقة في الأوساط الأدبية عن طريق الكتابة في مجال القصة القصيرة والرواية والشعر.

وغادة السمان الروائية والقاصة تعتبر من العلامات البارزة في كتابة القصص القصيرة والروايات العربية في سوريا، ولدت في 1941/11/15م في دمشق-سورية في وسط البرجوازية الصغيرة، وكانت أسرتها متحركة ونشطة نسبيا، مليئة بالتوجهات الثقافية والعلمية.

والدها الدكتور أحمد السمان كان أستاذا في الجامعة السورية، فعميدا لكلية الحقوق بجامعة دمشق لعشر سنوات متوالية، ثم رئيسا للجامعة، فوزيرا للتربية الوطنية والتعليم.

وأما أمها سلمى رويحة فكانت أديبة وشاعرة ومدرسة للغة الفرنسية. بذلك عنت بتكويها الثقافي منذ طفولتها، حتى توفيت أمها إذ كانت الكاتبة طفلة، كما تقول الكاتبة: إن "أمي قد ماتت قبل أن أعيها" فحزنت للغاية.

خلال سنوات المدرسة ورغم توجهها العلمي في الدراسة، كانت تطالع بتشجيع من الأب الأدب العربي والشعر الأجنبي، ولكنها بعد حصولها على الشهادة الثانوية، تمردت على إرادة الأب في أن تدرس الطب وهي انتسبت إلى كلية الآداب بجامعة دمشق لدراسة الأدب الإنكليزي.

هكذا أظهرت الكاتبة موهبتها بالكتابة قصة "من وحي الرياضيات" التي نشرت في مجلة المدرسة القانونية، وقد كتبتها لإقناع أستاذتها التي تثق بموهبتها الأدبية.

وحصلت على شهادة الليسانس في الأدب الإنكليزي عام 1963م، ثم انتقلت إلى بيروت عام 1064م لمتابعة الدراسة لنيل شهادة الماجستير في الجامعة الأمريكية، وخلال مرحلة الليسانس عملت كمعلمة في مدرسة شارلز سعد بالشوفات. ثم ارتحلت إلى لندن للحصول على شهادة الدكتوراه ولكنها لم تنجز أطروحتها وانشغلت عن ذلك برحلات ثقافية وعملت في العديد من المدن الأوروبية كباريس ولندن وجنيف.

كانت الكاتبة دائما امرأة عاملة، عملت كموظفة في مكتبة وصحافية وكاتبة في مجلة "الأسبوع العربي" والعديد من المجلات حديثة العهد. وإذاعية في راديو في الكويت. وأستاذة محاضرة في جامعة دمشق.

إن الكاتبة عاشت فريدة بين عام 1966-1969م بين لبنان والبلاد الغربية بعدما أنجدها صديقها غسان كنفاني (1936-1972م) بجواز سفر عربي آخر حين رفضت الحكومة السورية تجديد جواز سفرها السوري تمهيدا لسوقها إلى السجن. وقد تزوجت ببشير الداعوق –صاحب دار الطليعة- في لبنان عام 1969م، واختارت الاستقرار نهائيا في بيروت. تقيم الكاتبة حاليا في باريس التي تعتبرها في وقت واحد نبعا للوحي ومنفى.

إنها بدأت الكتابة في الستينات وهذه الفترة من التاريخ السوري لها أهمية كبيرة من الإنتاج الأدبي. وتتناول في روايتاتها قضايا المجتمع السوري والحرب والصراع بين الشرق والغرب. وقد برزت في حياتها وأدبها ثلاثة محاور: (1) الحرب، كمحور للأدب. (2) سورية، كمكان نموذجي. (3) الجيل، كزمان بشري. لأن الكاتبة ولدت في دمشق وكانت صبية حين اشتعلت الحرب الأولى في فلسطين عام 1948م، وما بلغت سن المراهقة حتى اشتعلت حرب السويس عام 1956م، ثم تابعت الحروب في حياة جيلها: وهي حرب1967م وحرب 1973م وحرب 1975م من حروب وطنية وحروب أهلية وحروب طائفية. وكان من الطبيعي أن تصبح الحرب محورا رئيسيا في الأدب العربي المعاصر، وخاصة لدى الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين والمصريين، حيث دارت المعارك على حدودهم.

وكتبت غادة السمان عديدا من الروايات والمجموعات القصصية والدواوين وأدب الرحلات وأيضا الأعمال غير الكاملة، كما هو يلي:

إنها كتبت أول مجموعة قصصية "عيناك قدري" عام 1962م، ثم تابعتها "لابحر في بيروت" عام 1963م، و"ليل الغرباء" عام 1966م، و"رحيل المرافئ القديمة" عام 1973م، و"زمن الحب الآخر" عام 1978م، و"القمر المربع" عام 1994م.

وكتبت أول رواية "بيروت75" عام 1975م، ثم توالتها "كوابيس بيروت" عام 1976م، و"ليلة المليار" عام 1986م، و"الرواية المستحيلة: فسيفساء دمشقية" عام 1997م، و"سهرة تنكرية للموتى" عام 2003م.

وهي قدمت أول ديوان "حب" عام 1973م، ثم تواصلتها "أعلنت عليك الحب" عام 1976م، و"أشهد عكس الريح" عام 1988م، و"عاشقة في محبرة" عام 1995م، و"رسائل الحنين إلى الياسمين" عام 1996م، و"الأبدية لحظة حب" عام 1999م، و"الرقص مع البوم" عام2003م.

وكتبت أول أدب الرحلات "الجسد حقيبة سفر" عام 1978م، ثم تابعتها "غربة تحت الصفر" عام 1987م، و"شهوة الأجنحة" عام 1995م، و"القلب نورس وحيد" عام 1998م، و"رعشة الحرية" عام 2003م.

وكتبت أول الأعمال غير الكاملة "السباحة في بحيرة الشيطان" عام 1979م، ثم توالتها "ختم الذاكرة بالشمع الأحمر" عام 1979م، و"مواطنة متلبسة بالقراءة " عام 1980م، و"ع غ تتفرس" عام 1980م، و"الرغيف ينبض كالقلب" عام 1980م، و"صفارة إنذار داخل رأسي" عام 1980م، و"الحب من الوريد إلى الوريد" عام 1980م، و"القبيلة تستجوب القتيلة" عام 1981م، و"البحر يحاكم سمكة" عام 1986م، و"تسكع داخل جرح" عام 1992م.

أما دراستي هذه المتواضعة فهي تسعى إلى تعريف شخصية غادة السمان كروائية مع تحديد القضايا النسوية والأفكار التي عالجتها في رواياتها. وإني واجهت خلال الدراسة

الصعوبات في الحصول على المصادر والمراجع التي تتحدث عن حياتها وأعمالها الأدبية تحديدا إلا بعضا من الكتب والمقالات المنشورة في المجلات العربية.

وقسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة أبواب متفرعة على عدة فصول وخاتمة ثم ذكرت المصادر والمراجع وفهرس المحتويات.

أما الباب الأول فهو منقسم إلى ثلاثة فصول، تناولت في الفصل الأول مولدها ونشأتها مع ذكر شيء عن دراستها، وفي الفصل الثاني قد ذكرت العوامل التي تأثرت بها الكاتبة في حياتها، وفي الفصل الثالث قد تحدثت عن مساهماة غادة السمان في إثراء اللغة العربية.

وقسمت الباب الثاني إلى ثلاثة فصول، ففي الفصل الأول قد تحدثت عن صورة المرأة في الرواية الحديثة مع ذكر شيئ عن أزمة الحرية الذاتية للمرأة وصورة المتمردة في الرواية التحليلية وصورة المتمردة على التفاوت الطبقي والصورة الرمزية للمرأة في الرواية، وأما الفصل الثاني فتناولت فيه صورة المرأة في الرواية العربية مع ذكر شيء عن المرأة العاملة والمرأة والوعي السياسي، وفي الفصل الثالث تحدثت عن صورة أوضاع المرأة الاجتماعية مع ذكر بعض القضايا من الاستقلال العاطفي والحرة الذاتية للمرأة، والحب بين الرجل والمرأة، وزواج الفتاة بالإكراه بدون خيارها فيه.....

أما الباب الثالث فهو أيضا يحتوي على ثلاثة فصول، ففي الفصل الأول تناولت القضايا النسوية في روايات غادة السمان، مع ذكر بعض أوضاع نسوية من تحويل المرأة إلى سلعة للبيع والشراء باسم الزواج، والفرق بين المرأة الشرقية والغربية، وفقدان عذرية الفتاة وشيخوخة المرأة وعقمها.... والفصل الثاني يبحث عن المساواة بين الرجال والنساء في روايات غادة السمان، والفصل الثالث يحتوي على حقوق المرأة وواجباتها، وفي الخاتمة بينت النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة المتواضعة.

وأخيرا أشكر الله على أنه وفقني لإتمام هذه الدراسة المتواضعة، ثم أشكر والدي الكريمين اللذين ربياني صغيرا ووفرا لي جوا ملائما للدراسة وبعد ذلك أتقدم بالشكر والامتنان

من صميم قلبي إلى مشرفي المخلص البروفيسور رضوان الرحمن –بارك الله في حياته وخدماته- الذي أشرف على هذا البحث ولم يأل جهدا في تقديم المساعدة وإرشاداته القيمة في إتمام هذه الأطروحة، ثم أشكر جميع أساتذة مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو الذين كان لهم دور هام في تثقيف ذهني وفكري، فلهم جزيل الشكر والامتنان، كما أنني لن أنسى شقيقي الوفي الدكتور محمد قاسم العادل –أستاذ مساعد في كلية ذاكر حسين دلهي- وجميع أصدقائي الذين شجعوني وقدموا لي التعاون و المساعدة في إعداد هذا البحث، فكلهم مستحقون للشكر والامتنان مني، وأخيرا أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجزل لهم الأجر الوافر ويبارك فيهم، و يصلي على خير خلقه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

الباحث

محمد ناظم حسين

جامعة جواهر لال نهرو

2017/07/22م

الباب الأول

حياة غادة السمان

- مولدها ونشأتها
- العوامل المؤثرة في حياة غادة السمان
- مساهمة غادة السمان في إثراء اللغة العربية

الفصل الأول

مولدها ونشأتها

غادة أحمد السمان روائية، شاعرة سورية وصحفية أيضا، هي تعتبر من أهم الكاتبات السوريات، ولها علاقة وثيقة بالشاعر السوري نزار قباني (1923- 1998م).[1] ولدت في 1941/11/15في دمشق-سورية[2] في وسط البرجوازية الصغيرة، كانت أسرتها متحركة ونشطة نسبيا، مليئة بالاندفاعات والتوجهات الثقافية والعلمية.

والدها الدكتور أحمد السمان قام بعمل مؤذن في الجامع مع متواصلة دراسته الجامعية حتى أصبح أستاذا في الجامعة السورية، فعميدا لكلية الحقوق بجامعة دمشق لفترة عشر سنوات متوالية. ثم رئيسا للجامعة، فوزيرا للتربية الوطنية والتعليم. وكان مشاركا في تشريع القوانين والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية بعد أن تم استقلال سورية عام 1946م.[3]

وأما أمها سلمى رويحة فهي كانت أديبة وشاعرة كبيرة ومدرسة للغة الفرنسية. هي بذلت العناية بتكوين غادة السمان الثقافي منذ طفولتها. إذ أتقنت غادة السمان باللغة الفرنسية بالإضافة إلى اللغة الإنكليزية، هناك سبقت اللغة الفرنسية اللغة الإنكليزية لأن أمها سلمى كانت معلمة في **"مدرسة اللاييك"**[4] التي تعلم فيها اللغة الفرنسية للعرب. ولكنها توفيت عندما كانت غادة السمان لا تزال طفلة "قبل أن أعيها"[5] كما تقول الكاتبة بنفسها. وكان لأمها إسهام كبير في إذكاء شمعة المحاكمة فيها بذهنية منفردة للانعتاق من الفكر الجمعي.

في الواقع كان للأب دور هام في تكوينها كامرأة وكاتبة بتربيته الصارمة والتي هدفت أساسا إلى تعليمها السيطرة على نفسها وجسدها، واستعمال الإرادة كقيمة مهددة بسهو لة

---

[1]- هو شاعر سوري مرموق، مولود في دمشق، ينتمي إلى أسرة معروفة بالعلم والتجارة، وهو حفيد الرائد المسرحي العربي أبوخليل القباني. تلقى تعليما منتظما في مسقط رأسه. جمع فيه بين التقليدي والحديث، وتخرج في كلية الحقوق عام 1948. عمل في السلك الدبلوماسي في بلاد كثيرة، منها القاهرة وتركيا ولندن. وتقاعد من الوظيفة سنة 1966. هو يعدّ من أغزر الشعراء العرب المحدثين إنتاجا. ومن بعض دواوينه: "قالت لي السمراء"(1944) "طفولة نهد" (1947) و"سامبا"(1949) و"أنت لي" (1950) وهذا كله أكسبه شهرة واسعة .(انظر: قاموس الأدب العربي الحديث: د. حمدي السكوت. دار الشروق، القاهرة، 2006، ص594-595.)

[2]- د. حمدي السكوت: قاموس الأدب العربي الحديث. نفس المرجع، ص397.

[3]- أعلن استقلال سوريا في 8 مارس 1920 من قبل المؤتمر السوري العام، إلا أن فرنسا رفضت الاعتراف بالمؤتمر، وأصدرت في سبتمبر 1920 مراسيم التقسيم، لاحقا وبشكل تدريجي حتى 1936 أعيد اتحاد خمسة كيانات ضمن الجمهو رية السورية التي نالت استقلالها التام 1946. (انظر: سوريا/https://wikipedia.org/wiki(visited on24/06/2017

[4]- أنشئ معهد اللاييك عام 1929 بالاتفاق بين الحكومة السورية والبعثة العلمانية الفرنسية حيث تعهدت الحكومة السورية وقتها بتقديم قطعة أرض لتقوم البعثة العلمانية الفرنسية ببناء مدرسة تستوعب ألف طالب على هذه المساحة. وضع أول حجر أساس للمدرسة في عام 1930. (انظر: مدرسة-اللاييك/www.marefa.org/index.php(visited on 25/06/2017

[5]- غادة السمان: القبيلة تستجوب القتيلة، منشورات غادة السمان، بيروت-1981.ص57

ظروف جيلها. وقد عرفها على القيمة الأساسية والأهم: العمل. ترافقت تلك التربية بحثّ واضح على الثقافة والمعرفة. فالكاتبة منذ صغرها كانت ترافق إلى اجتماعاته مع أصدقائه حيث تستمع إلى أحاديث الكبار مع إصراره على أن تحفظ القرآن منذ نعومة أظفارها لأنه يعلّمها اللغة العربية الصافية.

خلال سنوات المدرسة ورغم توجهها العلمي في الدراسة، كانت تطالع بتشجيع من الأب الأدب العربي والشعر الأجنبي، ولكنها بعد حصولها على الشهادة الثانوية العلمية، تمردت على إرادة الأب في أن تدرس الطب وهي انتسبت إلى كلية الآداب ب**"جامعة دمشق"**[1] لدراسة الأدب الإنكليزي.

والكاتبة أثبتت منذ صغرها أنها فتاة استثنائية وقد سبقت على جميع زميلاتها دائما في الدراسة وأثر ذلك أنها تكمل دورة تعليمية لصفين في عام واحد. وهذا التقدم والامتياز أهّلها للالتحاق بالجامعة مبكرا. وفي ذلك الوقت الذي كانت البنات اللواتي يلتحقن بالجامعات قليلات.

هكذا أظهرت الكاتبة موهبتها بالكتابة قصة **"من وحي الرياضيات"** لإقناع المعلمة في اللغة العربية. كما تحدثت عنها الكاتبة باولادي كابوا في كتابها **"التمرد والالتزام في أدب غادة السمان"** (1992م) "شاركت الكاتبة خلال هذه السنوات في منشورات أدبية مدرسية بقصص قصيرة مختلفة، منها **"من وحي الرياضيات"** التي نشرت في مجلة المدرسة القانونية، وقد كتبتها لإقناع أستاذتها في اللغة العربية والتي كانت مؤمنة بموهبتها الأدبية بأنها عند حسن ظهنا، وبالفعل فقد شجعتها ومكنتها من تقوية نزعتها الأدبية والاستمرار فيها".[2]

وكانت طفولة غادة السمان حافلة بالتناقضات التي اضطرتها على أن تشعر بأن المرأة العربية لم تتلذذ بفرصة إنسانية للتعبير عما يخطر ببالها، وهي ترعرعت بتربية أمها المتحررة

[1]- جامعة دمشق هي أقدم وأكبر جامعة في الجمهو رية العربية السورية، تقع في عاصمة دمشق، تعدّ أول جامعة حكومية في الوطن العربي. ترجع نواتها الأولى إلى العام 1903 من خلال المدرسة الطبية بفرعيها الطب البشري والصيدلة. وانضمت المدرسة الطبية إلى مدرسة الحقوق لتكوين الجامعة السورية. بقيت تحمل ذلك الإسم حتى عام 1958 حيث أصبحت جامعة دمشق. (أنظر: جامعة-دمشق/https://ar.wikipedia.org/wiki) visited on 25/06/2017

[2]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، دار الطليعة– بيروت، ط1992. ص22

وثقافة والدها الشفيق. وإن الثقة والقوة اللتين وضعهما في ذهنها، هي بدأت تحلم بعالم مختلف، عالم يتحقق فيه الحرية والعدالة الاجتماعية، عالم يبتعد عنه الاضطهاد والاستقلال.

"فأخذت غادة السمان قرارها النهائي بالتكرس لدراسة الأدب ونالت شهادة الليسانس في الأدب الإنكليزي[1]. ثم انتقلت إلى بيروت في عام 1964م لمتابعة دراستها لنيل شهادة الماجستير في الجامعة الأمريكية، والتفرغ لنشاطها الأساسي: القصة والصحافة. وكانت أطروحتها عن مسرح اللامعقول وهو تيار أدبي كثيرا ما نلمسه في أعمالها".[2]

وخلال مرحلة الليسانس عملت كمعلمة في **"مدرسة شارلز سعد"** بالشوفات. وبعدها سافرت إلى لندن للحصول على شهادة الدكتوراه ولكنها لم تنجز أطروحتها وانشغلت عن ذلك برحلات ثقافية لاكتشاف أوربا فنا وموسيقى وأدبا، وعملت في الوقت نفسه في العديد من المدن الأوربية كباريس ولندن وجنيف. فقد كانت دائما امرأة عاملة. عملت كموظفة في مكتبة وصحافية وكاتبة في مجلة **"الأسبوع العربي"**[3] والعديد من المجلات حديثة العهد، ومترجمة للرئيس ونائبه في أثناء الوحدة بين سورية ومصر. وإذاعية في راديو في الكويت. وأستاذة محاضرة في جامعة دمشق.

إن الكاتبة "عاشت وحدها بين عام 1966-1969م بين لبنان والبلاد الغربية بعد ما أنجدها صديقها "غسان كنفاني" (1936-1972م)[4] بجواز سفر عربي آخر حين رفضوا تجديد جواز سفرها السوري تمهيدا لسوقها إلى السجن. وفي أوائل السبعينات أصدر رئيس البلاد عفوا عاما شملها، ولكنها كانت قد تزوجت في لبنان واختارت الاستقرار نهائيا في بيروت،

---

[1]- نالت شهادة الليسانس في الأدب الإنجليزي عام 1963 من الجامعة السورية في دمشق. وحصلت شهادة الماجستير في مسرح اللامعقول من الجامعة الأمريكية في بيروت. (انظر: غادة-السمان/https://ar.wikipedia.org/wiki visited on 23/06/2017)

[2]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور. ص23

[3]- مجلة أسبوعية سياسية عربية مستقلة وتصدر أعدادها على شبكة الانترنت. وتم تأسيسها في عام 1959.(انظر: مجلة-الأسبوع-العربي/aitmag.ahram.org.eg/WebSites/2185 visited on 23/06/2017)

[4]- هو أديب فلسطيني، كتب القصة والرواية والنقد، فضلا عن المقال الصحفي، وحين اغتيل كان عضوا بالمكتب السياسي للجبهة الشعبية. واشتغل عاملا وكاتبا للاستدعاءات أمام المحاكم وعمل معلما في مدرسة الإليانس الفرنسية للاجئين في دمشق. وانتقل إلى بيروت في عام 1960، تفرغ للصحافة والأدب والسياسة. (انظر: قاموس الأدب العربي الحديث للدكتور حمدي السكوت. المرجع مذكور ص400)

وعاشت هناك لفترة تخللتها دائما رحلات عديدة إلى الخارج لندن، باريس، برلين، روما، زوريخ، الشرق الأقصى، روسيا.....إلى آخره".[1]

وإنما كانت لها فترة المنفى في سوريا خصبة بالخصوص رغم سوء الحال من عيشها، غنية بالتجارب الروحية والفكرية، والأدبية والإنسانية، فأسفارها العديدة إضافة إلى أنها عرّفتها بعمق على الثقافة الغربية والعالمية، شكلت لها دفعا هاما للبحث في المحتويات المميزة التي تغني كتاباتها والمتعلقة بمشاكل العالم العربي بشكل ما. وتكون الإضافة إليها فيما بعد مسألة الغربة والشعور بالانتماء الذي يرافقها.

وتقول الكاتبة بنفسها: "لقد عشت ذات فترة خارج كل شئ، خارج اضطهاد المؤسسات ولكن خارج حمايتها أيضا. عشت 1966م-1967م-1968م-1969م منتقلة بين لبنان ومختلف البلدان الأوربية أعمل وأعيش كأي شاب وحيد. هذه السنوات هي التي كونتني وهي التي صنعت غادة الحالية، والذين يعرفونني قبل عام 1966م ولم يحتكوا بي بعدها فإنهم لا يعرفون غير اسمي. كل ما تعلمته حقا تعلمته في سنوات الصراع تلك.....فهمت خلالها فعلا معنى أن يكون الإنسان طريدا ووحيدا ومهددا بالسجن وبلا أي سند في العالم وإذا مات في غرفته فقد لا يكتشف الجيران جثته إلا بعد مرور أيام وبفعل رائحتها لا بفعل افتقاد أحد له.....

خلال تلك السنوات واجهت الناس غريبة في بلدان غريبة بدون حماية الأسرة. المركز الاجتماعي والنقود، وتعلمت ما لم أتعلمه طيلة أيامي السابقة..... عرفت ما لم أتعلمه طيلة أيامي السابقة.... عرفت أصدقائي النادرين في أنحاء العالم العربي منهم الشهيد غسان كنفاني (1936-1972م) الذي استحصل لي جواز سفر عربي آخر، وندرة من الآخرين، وأكثرية من شاهري السكاكين المنتظرين سقوطي، أو مصالحتي في حال استمراري.

كانت سنوات تعلمت خلالها أشياء كثيرة عن طبقات لم تكن ظروفي السابقة تتيح لي فرص الاحتكاك بها، وإذا بي بين ليلة وضحاها أنتمي إليها..... كان للأمر عذوبته ومفاجأته،

[1]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان. المرجع مذكور. ص24

وقسوته، وكان أقسى ما فيه اكتشافي النهائي لتفاهة مفاهيم المجتمع الدمشقي البرجوازي الذي كان يعتبرني في تلك السنوات امرأة هالكة، وكنت في الحقيقة امرأة بدأت تحيا وفنانة تزداد وعيا..... وربما كنت قبلها هالكة، ولا نجاة لي لولم آمر بها....وأرى كل شئ من جديد عبر نافذة أرحب، وأطل فضاء لم يدر بخلدي قط أنه هناك....."[1]

يظهر فضاء الحرب الكامل في أدب الكاتبة لأنها تمت ولادتها في دمشق وكانت طفلة فحينئذ (اشتعلت نار الحرب الأولى في فلسطين عام 1948م. وما بلغت سن المراهقة حتى اشتعلت حرب السويس عام 1956م. ثم أصبحت الحروب المتوالية في حياة جيلها: وهي حرب 1967م، وحرب 1973م، وحرب 1975م، من الحروب الوطنية والأهلية والطائفية لذلك أصبحت الحرب محورا رئيسيا في الأدب العربي المعاصر، وبالخصوص عند الكتّاب المصريين والفلسطينيين والسوريين واللبنانيين والأردنيين، أينما دارت الحروب في بلادهم أو على حدودهم)[2]

وإن سورية أكثر حساسية لمسئلة الحرب بسبب وضعها الجيوبوليتيكي، لأن الأردن وفلسطين ولبنان تقع كلها ضمن دائرة سورية ولذلك كان الأدب السوري الحديث في الشعر والرواية والمسرح والقصة القصيرة مملوءا بموضوعات الحرب وقضاياها، وخاصة ذلك الجيل الذي تنتمي إليه غادة السمان حيث عايش خمس حروب، إحداهن الحرب اللبنانية، وأهم أسباب هذه الحروب، هو القضية الفلسطينية، لم يعالج حتى الآن.

والكاتبة هي إحدى رموز الجيل المعاصر، وأدبها يدور في ثلاثة محاور يعني قد اختارت ثلاثة محاور:

(1) الحرب، كمحور للأدب. (2) سورية كمكان نموذجي. (3) الجيل كزمان بشري.[3]

---

[1]- غالي شكري: غادة السمان بلا أجنحة، بيروت، دار الطليعة، ط2، 1979، ص64-65

[2]- الدكتورة إلهام غالي: غادة السمان- الحب والحرب، دار الطليعة- بيروت، 1986. ص5

[3]- الدكتورة إلهام غالي: غادة السمان- الحب والحرب، المرجع مذكور. ص6

لأن حياتها وأدبها كانا ردا على النشأة البرجوازية، فهي ابنة أستاذ جامعي، فعميد لكلية الحقوق، فرئيس للجامعة، فوزير للتربية والتعليم. وهي نفسها بدأت حياتها العملية كأستاذة محاضرة في جامعة دمشق ولكنها تمردت على المجتمع البرجوازي السوري فتركت الأسرة والجامعة وسافرت إلى أو روبا الغربية في جولات من التجارب الإنسانية الحرة والعميقة.

وقد كانت غادة السمان مفاجأة لجيلها من الرجال والنساء، لأنها قدمت نموذجا جديدا على الحياة العربية المحافظة، جديدا في الفكر والسلوك. ومن هنا كان إبداعها الأدبي مغايرا ومختلفا عن القيم الأدبية السائدة في الوطن العربي ولكنها في الواقع ليست مقطوعة العلاقة بتراثها الأدبي، فهي جزء من التقاليد العريقة لأدب بلادها. ولكنها جزء أضاف إلى هذه التقاليد تجربة كثيرة لامرأة عربية من المشرق تقوم بالكتابة، وتثقفت بأهم تيارات الثقافة الإنسانية في الغرب وخاصة الآداب الإنكليزية والفرنسية. وهي أيضا تجربة البنت الشابة التي تركت وراءها الحياة البرجوازية لتعمل وتعيش في عالم قاس، وقد ترك ذلك كله آثارا واضحة على أدبها سواء في القصة القصيرة أو في الرواية.

"تقيم الكاتبة حاليا في باريس التي تعتبرها في وقت واحد نبعا للوحي ومنفى، ومحطة في رحلة حياتها. فرغم كون باريس مدينة تضج بالحياة والفن والوحي فهي تشعر وسط كل هذا بارتباطها الأساسي بوطنها قلبا وعقلا، وكل الاستيحاءات الآتية من المدينة الغربية الجميلة تنعكس تمردا وحرفة على بلادها الأم".[1]

[1]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص26

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في حياة غادة السمان

كانت غادة السمان متأثرة بجملة الأحداث العنيفة، أولا توفيت أمها الحنون سلمى رويحة وهي كانت طفلة بالغة من عمرها الخامسة. كما تقول الكاتبة بنفسها إن "أمي ماتت قبل أن أعيها"[1] فأصبحت حزينة للغاية وانتشر الظلام في عينيها لأن الأم هي مدرسة ابتدائية للبنين والبنات ولكن أمها أحسنت تربيتها خلال خمس سنوات.

وأما والدها أحمد السمان فيقوم بمهمة الأم في حياة الكاتبة إضافة إلى مهمته الأبوية، كما قد تحدث عنه غالي شكري (1935-1998م) في كتابه **"غادة السمان بلا أجنحة"** قائلا:

"كانت لديه صفات ذلك الجيل الرائع من الرجال الذين يرضون جسدهم على نوع من الصوفية والإرادة وكان يحاول نقل ذلك إلي منذ الطفولة. أذكر أنني كنت في العاشرة من عمري حين كنا نمشي مع الفجر من بلودان إلى بقين ثم نعود إلى بلودان مشيا حوالي مسيرة أربع ساعات وأننا كنا نمر على طريق العودة بنبع ماء مثلج وكنت أركض إلى الماء لأشرب وأنا أنزف تعبا وعرقا وكان يمنعني من الشرب لأنه يجب تنمية الإرادة كأي عضو آخر في الجسد ولأن الماء البارد على حد قوله يؤذي الحنجرة حين يكون الشخص عرقا، وكان يسمح لي فقط بالمضمضة وغسل وجهي. في البداية كان ذلك تعذيبا وكنت أسرق بضع جرعات. وخلال سنوات من هذا النوع من المعاملة على أكثر من صعيد تعلمت جيدا ترويض جسدي واستخدام تلك الحاسة شبه المنسية في جيلنا التي اسمها الإرادة والتي تسترخي عادة أمام إغراءات السهو لة والرخاء".[2]

في خريف عام 1966م بعد وفاة والدها بأشهر صدر في سوريا حكم على غيابها بسجنها لفترة ثلاثة أشهر. لأنها كموظفة حاملة لشهادة الليسانس قد غادرت الأراضي السورية دون أخبرت الحكومة السورية من تركها، وهي من حملة الشهادات العليا. علمت الكاتبة بذلك أثناء تواجدها في لندن حيث سرّحت من عملها أيضا كمراسلة خارجية لمجلة لبنانية، ففاجئت ضربة جديدة إذ حرمت من وظيفتها التي كانت تقضي عليها الحياة. كل ذلك قد ترافق بصمت

[1]- غادة السمان: القبيلة تستجوب القتيلة، المرجع مذكور، ص57
[2]- غالي شكري: غادة السمان بلا أجنحة، المرجع مذكور، ص49

تام من قبل مجتمعها. ففي دمشق[1] ذلك الزمان كانت استقلاليتها وحريتها ثقيلتي الوقع على نفوسهم كما تقول الكاتبة: "صيف 1966م توفي والدي. حكمت بالسجن لمدة ثلاثة أشهر غيابيا لأنني من حملة الشهادات العالية بسوريا وغادرتها دون إذن. تم إبلاغي النبأ وكنت في لندن. تم طردي من عملي الذي كنت أعتاش منه بمراسلة إحدى المجلات اللبنانية ولم أبلغ بذلك رسميا أيضا لأسباب شخصية انتقامية. وقعت بيني وبين ما تبقى من أسرتي قطيعة عائلية سببها الرسمي تافه وسببها الحقيقي رغبتي بالاستقلال التام والحرية وكان معنى ذلك أيضا انقطاع أي مصدر تمويلي عني.

ذلك الصيف كان علي أن أواجه فيما إذا كنت صادقة حقا أم لا في كل حرف كتبته عن الحرية ومواجهة العالم والإيمان بالمبادئ وتحويلها إلى سلوك حتى النهاية ومهما كان الثمن.....

لقد وقفت وحيدة فعلا في هذا العالم الشرس أواجه كل القوى المتحالفة ضدي والمؤسسات العتيقة المحنكة الأساليب التي ترى في وجودي كتابة وممارسة إفسادا لجيلي وتحريضا ضمنيا لهم على اكتشاف ذاتهم بعيدا عن المسلمات التقليدية والأفكار الرجعية حول حقوق المرأة خاصة وحقوق الفرد العربي عامة. كان كل شيء ضدي. كل المؤسسات: الأسرة، المجتمع، القانون".[2]

وقد بدأ مجتمعها البرجوازي آنذاك يشعر بأنها امرأة مواجهة الهلاكة والخسارة ولكن سمو روحها لم يغادرها تنزلق وتستسلم. بل عصرت من الضربات والصعوبات والتجارب المرة ذلك الشفق والرحم الذي يتكون فيه شخصيتها المبدعة وترسلها إلى عالم جديد بعد أن صبرت صبرا جميلا على مواجهة الآلام والأحزان في حياتها.

[1]- دمشق هي عاصمة الجمهو رية العربية السورية، تقع ضمن منطقة الشرق الأوسط في غرب آسيا، يحدّها شمالا تركيا، وشرقا العراق، وجنوبا الأردن، وغربا فلسطين ولبنان، والبحر الأبيض المتوسط. (انظر:سوريا /https://ar.wikipedia.org/wiki/) visited on 10/06/2017

[2]- غلي شكري: غادة السمان بلا أجنحة، المرجع مذكور، ص63

وفاة زوجها قد أذهلت الكاتبة، هي "تزوجت في أواخر الستينات من الدكتور بشير الداعوق[1] صاحب **"دار الطليعة"**[2] وأنجبت ابنها الوحيد حازم الذي أسمته تيمنا باسم أحد أبطالها في مجموعة **"ليل الغرباء"** (الطبعة الأولى 1966م) كان زواجها آنذاك بمثابة الصدمة أو ما سمي بلقاء الثلج والنار، لما كان يبدو من اختلاف في الطباع الشخصية، كان بشير الداعوق سليل أسرة الداعوق البيروتية العريقة بعثي الانتماء ولا يخفي ذلك وظل كذلك إلى وفاته في عام 2007م.[3]

أما انتماء غادة السمان الوحيد فقد كان للحرية كما تقول دوما. لكن زواجهما استمر وقد برهنت غادة السمان على أن المرأة الكاتبة المبدعة يمكن أيضا أن تكون زوجة وفية تقف مع زوجها وهو يصارع السرطان حتى اللحظة الأخيرة من حياته".[4]

وإن العدو الحقيقي لغادة هو الموت، والكاتبة نفسها تحاول الإفلات منه على طريقتها الخاصة "أكتب كي لا أموت"[5]

إن الكاتبة في المقابلة التي أجرتها معها باولادي كابوا، والتي نشرت في إيطاليا في المجلة الأدبية الشهرية "خيط الظل". من جهة أخرى، "الموت نفسه موجود دائما وبكثرة في كتاباتها، موت بالنسبة لها وللآخرين والذي تحاول الكاتبة أن تقاومه بكل وسيلة. كذلك الحب عندها هو شكل من أشكال النضال في مواجهة الموت، والذي كان عليها التعود عليه منذ كانت طفلة حين كانوا يصطحبونها إلى قبر أمها التي فقدتها قبل أن تنتبه إلى وجودها".[6]

---

[1]- في العام 1969 تزوج بشير الداعوق من الأديبة والكاتبة غادة السمان ابنة عميد كلية الحقوق في جامعة دمشق، ووزير التربية والتعليم العالي السوري سابقا المرحوم محمد السمان.(انظر:www.alwasatnews.com/news/257881.html visited on 10/06/2017)

[2]- في العام 1966 أسس بشير الداعوق(دار الطليعة) في بيروت التي لعبت دورا بارزا في الحياة الفكرية والثقافية العربية.(انظر: نفس المرجع المذكور)

[3]- توفي في باريس إثر مرض عضال بشير الداعوق صاحب (دار الطليعة) وعضومجلس أمناء مركز دراسات الوحدة العربية وعضوالمؤتمر القومي العربي، وعضومجلس أمناء المنتدى القومي العربي.(أنظر: نفس المرجع المذكور)

[4]- www.souriat.com/2017/06/40145.html-visited on 10/06/2017

[5]- غالي شكر: غادة السمان بلا أجنحة، المرجع مذكور، ص28

[6]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص15-16

ولكن الموت عندما تصفه غادة السمان هو بالنسبة لها أكثر غيبة ولا عقلانية كما على سبيل المثال، موت الوصيفة في قصة **"فزاع طيور آخر"** أو موت الخادم في **"كوابيس بيروت"** (1976م) وسواهما حيث تهدر حياتهم بسبب حماقاتهم أو شرور سادتهم المعدومي الضمير وتموت هذه الضحايا بسبب هفوات حمقاء وشريرة من قبل مناخ اجتماعي متخلف، ثم نرى موت شخصية رمزية على مستوى الإنسانية مثل صاحب متجر الحيوانات الأليفة في كوابيس بيروت، والذي يموت مفترسا من قبل حيواناته الجائعة التي تاجر بها ولم يطعمها كفايتها أو هي موت بطلة **"بيروت75"** (1975م)، رامزة لكل الضحايا المقدمة على مذبح الأنانية والنفاق الإنساني.

وإن بعض الناشرين في البلدان العربية في الماضي كانوا يتخوفون من نشر كتاباتها الجريئة ويقدمون شروطا أو تعديلات مختلفة. ولكن اليوم يتسابقون في القيام بنشر كتبها وتوزيعها. لأن الكاتبة هي امرأة حرة، حرة باعتبار أنها لكي لا تكون مستعبدة من جانب دور النشر، هي "قررت بعد أن أصدرت أولى أعمالها القصصية والشعرية عن طريق **"دار الآداب"**[1] في بيروت أن تبدأ بنشر كتبها بنفسها بطريق تأسيسها لدار النشر **" منشورات غادة السمان"** عام 1977م."[2] وأصدرت عنها واحدا بعد واحد. وإن كتبها حازت نجاحا واسعا في كل بقعة من بقاع العالم العربي تقريبا، وتم إعادة طبعها عدة مرات. حتى في البلاد الأوروبية التي ترجمت فيها أعمالها، فهي تحوز على نجاح كبير وجمهوري أوروبي واسع. وإن روايتها **"كوابيس بيروت"** قد تم بيع عشرات آلاف نسخها في بولونيا وروسيا، وأرقاما مشابهة في ألمانيا الغربية والشرقية وغيرها.

[1]- أنشئت دار الآداب عام 1956 بعد صدور مجلة الآداب عام 1953 وعملت على إنتاج مؤلفات مطولة وموثقة تتناول مختلف ألوان الإنتاج الجاد في مجال الدراسات والترجمات والروايات والدواوين الشعرية والمسرحيات، الغاية منه الإسهام في خلق نهضة ثقافية كبيرة تكون مواصلة لما قدمه العرب في القرون السابقة.(انظر: دار-الآداب-للنشر-والتوزيع https://ar.wikipedia.org/) visited on 10/06/2017

[2]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص8

هكذا "التطورات السياسية والاجتماعية في الشرق الأوسط ، ومأساة الحرب الأهلية وانفجار العاصمة اللبنانية، كل هذه عوامل يمكن أن تكون مؤثرة بها وفاعلة في تركيبها الإنسانية والأدبية".[1]

هكذا قد تفوقت الكاتبة على جميع زميلاتها في الفصل وواجهت جميع المشاكل في أثناء الدراسة للحصول على العلوم العالية. ثم تلتها ضربة أخرى، وهي استقبل أبوها الشفيق نداء الله الذي لعب دور الأم الهام في حياة الكاتبة لأنه كان عمل في الجامعة السورية كأستاذ فعميد لكلية الحقوق ثم كرئيس الجامعة وفي النهاية كوزير للتربية الوطنية والتعليم، وهو كان متميزا بتجارب شخصية وتربوية حسنة. وتذكر غادة السمان أن والدها كان يرغب أن تدرس الطب ولكنها أقبلت على دراسة الأدب الإنكليزي.

[1]- باولادي كابوا: نفس المرجع، ص17

الفصل الثالث

مساهمة غادة السمان في إثراء اللغة العربية

إن الإنتاج الأدبي للكاتبة غني جدا ومختلف الأشكال من المجموعات القصصية إلى الرواية والمسرح والمجموعات الشعرية والنصوص المفتوحة والنقد الأدبي وأدب الرحلات وأدب العموم حيث عملت معلقة صحفية في الصحف والمجلات وقد بدأت غادة السمان بالكتابة مبكرا.

نظرا إلى تنوع الأنماط الكتابية لدى غادة السمان فإن المهم أن نعرف وجهة نظر الأدبية فيما يخص الكتابة وأشكالها: فبالنسبة لها، لا توجد حدود بين النثر والشعر وغيره، فالفنان الحقيقي لا يقع ضمن انتماء محدد محصور في نمط أدبي واحد بل ينتقل بحرية دون تحيّز من أحدها إلى الآخر حسب ما يملي عليه الوحي. فالانتماءات للأنماط الأدبية هي تصنيفات تخص النقد، والكاتبة لا تحب أن تتحد ضمن شكل أدبي واحد، فهي تخلق العمل ولا يهمها إن ارتدى ثوب النثر أو الشعر، والغنى الثقافي عندها يظهر في التنوع. فإن كان صحيحا أن على كتّاب اليوم أن يستنيروا بطريق كتّاب البارحة كي يصلوا إلى حيث وصل أسلافهم من النجاح، فعليهم أيضا اختبار طرق جديدة. وهي تعبر عن آرائها هذه في العديد من أحاديثها مع الصحافة المنشورة في كتبها مثلا: **"البحر يحاكم سمكة"** (1986م)، و**"تسكع داخل جرح"** (1992م)، **"القبيلة تستجوب القتيلة"** (1981م)، وغيرها.

إن غادة السمان "كانت بداياتها الأدبية مندرجة في إطار الأدب النسائي والحركة النسائية ضمن مناخ جيل سابق من الأدبيات من بداية القرن الحالي وحتى أعوام الخمسينات-الستينات، كوليت الخوري (1937م)[1] من سورية وسميرة عزام (1927م)[2] من فلسطين. أعلنت الأديبات منذ ذلك الوقت التزامهن بالنضال لتحرير المرأة في البلاد العربية، وقد دار

[1]- ولدت الروائية والقاصة السورية كوليت سهيل خوري في دمشق عام 1937، درست في دمشق، وأتقنت الفرنسية، ودرست الحقوق في الجامعة اليسوعية في بيروت، ودرست الآداب في جامعة دمشق، وتخرجت في قسم اللغة الفرنسية، بدأت نشر إنتاجها في سن مبكرة، ورحبت به الصحف والمجلات، شهرتها الطاغية قد حدثت مع نشر روايتها الشهيرة "أيام معه"(بيروت، 1959)، وحظيت كوليت خوري بمكانة بارزة في المجتمع العربي، ودعيت للكتابة في كثير من الصحف.(يراجع: قاموس الأدب العربي الحديث. لدكتور حمدي السكوت. ص431)

[2]- سميرة عزام هي كاتبة وصحفية فلسطينية ولدت في عام 1927 في مدينة عكا بفلسطين. وهي صاحبة لقب رائدة القصة القصيرة في فلسطين، وتلقت دراستها الابتدائية في مدرسة الحكومة في عكا. ثم في مدرسة الراهبات في غزة. ومارست مهنة التدريس في مدرسة الروم من عام 1943-1945. وسافرت إلى العراق، وباشرت الكتابة لبعض المجلات. من أعمالها: الظل الكبير(1956)، الساعة والإنسان (1963) (أنظر: سميرة-عزام/hppts://ar.wikipedia.org/wiki) visited on 05/05/2017

محور نضالهن حول رفض العبودية الاجتماعية والجنسية التي تعيشها المرأة العربية بشكل عام، وكانت قصصهن وأعمالهن مستقاة مباشرة من تجاربهن الشخصية التي عشنها. ولكن أعمال الرائدات في حركة تحرير المرأة لم تستمر في قوتها ولم تحافظ على النبرة الجدية المقنعة، فقد بدأت تفرغ من محتواها مع ذبول في نوعية الإنتاج والقيمة الأدبية والفني"ة[1]

إن الكاتبة كوليت الخوري عندما نشرت روايتها **"أيام معه"** (بيروت 1959م) و**"ليلة واحدة"** (بيروت1960م) كذلك ليلى بعلبكي (1973م)[2] **"أنا أحيا"** (بيروت1958م) و**"الآلهة الممسوخة"** (بيروت1960م)، دعا النقّاد ذلك الأدب بالأدب النسائي المتحرر لأنه بالنسبة لتلك الفترة كان أدبا مكتوبا من قبل النساء حول الرجال ومشكلة الجنس في مواجهة الكبت والعزلة التي تعانيهما المرأة العربية في المجتمع الشرقي.

"إن الأصالة الفنية التي تقف وراء استمرارية غادة السمان هي أهم ما يميزها عن جيلها من الكاتبات. ففي حين نجد أن الكاتبات ليلى بعلبكي، كوليت خوري، ليلى عسيران (1934-2007م)[3] بدأن بأعمال قصصية وقفن معها على ذروة، ليتدحرجن مع قصتهن الثانية إلى السفح، نجد غادة السمان تبدأ من السفح بمجموعة **"لا بحر في بيروت"** (1963م) لتصل بمجموعتها القصصية الأخيرة **"رحيل المرافئ القديمة"** (1973م)...."[4]

وتحرير المرأة خصوصا في المجال الفكري والعاطفي كان نقطة الانطلاق في أعمال أبرز روائية سورية وهي غادة السمان وقصصها مدينة بتأثيرها في الناس لا لكونها كاتبة

---

[1]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان. المرجع مذكور، ص27-28

[2]- هي أديبة وكاتبة لبنانية، ولدت في قضاء النبطية، حصلت على دبلوم في الحضارات الشرقية من جامعة القديس يوسف. في عام نفسه عملت في سكرتارية مجلس النواب اللبناني، واستمرت في ذلك العمل حتى عام 1960. اتجهت بعد ذلك إلى العمل الصحفي. سافرت إلى لندن وأقامت هناك حتى عام 1989. قامت بكتابة أهم أعمالها الرائية، وهي رواية "أنا أحيا"1958، وفيها تصور فتاة عربية تبحث عن هو يتها وعن معنى وجودها في ظل ظروف قاسية تسببت في ضياعها.(انظر: قاموس الأدب العربي الحديث، لدكتور حمدي السكوت، المرجع مذكور، ص438-439)

[3]- هو ولدت في مدينة صيدا بلبنان عام 1934، هي من نساء لبنان اللواتي تركن أثرا في الصحافة والرواية والقصة القصيرة، وعملت من أجل قضايا الأمة العربية وكذلك قضايا المرأة اللبنانية والعربية، هو ناشطة في مجال تحرير المرأة، من مؤلفاتها: لن أموت غدا، وجسر الحجر، الحوار الأخرس. توفيت في 15 ابريل من العام 2007 نتيجة نوبة قلبية.(انظر:ليلى-عسيران /visited(https://ar.wikipedia.org/wiki on 06/05/2017

[4]- عفيف فراج: الحرية في أدب المرأة: بيروت- مؤسسة الأبحاث العربية، ص83

امرأة، ولكن لخصائصها الأدبية، وأسلوبها المميز الأصيل، بصوره المعبرة الغنية فنيا، ولغتها الجميلة، وسخريتها المبطنة.

غادة السمان وسعت تدريجيا آفاق الرؤيا لديها فصارت تقف ضد القمع بوجه عام. وافتقار المجتمع العربي إلى الحرية لا المرأة وحدها. وكتاباتها الأخيرة هي صرخة شجاعة لتحرير الإنسان في العالم العربي من ما يفسد إنسانيته ويعرقل النمو الحر لطاقاته.

ونحن "نلمس من خلال توالي إنتاجها ومجموعاته عمقا ونضجا كبيرين في طرح مواضيع الشباب التي تركز عليها انتباه الكاتبة ضمن جيلها، جيل كثير من الشباب العرب الذين يشعرون بأن التقاليد القديمة الرجعية شيء قد مضى عليه الزمن وبضرورة خلق تغيير ملائم للعصر، ولكنهم في الوقت نفسه، لا يزالون منطبعين بتلك العقلية التقليدية لأن جذورهم قد نمت في أرضها...هذه المشاعر المتناقضة تؤدي بالنتيجة إلى التشتت والضياع الذي كان طرحه في أعمال كاتبات الأدب النسائي، بشكل ضياع رومانسي، غامضا دون تحديد لمعالمه أو سبر الأسباب العميقة له".[1]

إن جو المأساة ينبع من هنا في الحنين إلى الحقيقة مع شعور بالهزيمة والعجز اليائس الذي لا يجد منفذا يخرجه من ذلك الضياع، ضياع فكري، نفسي واجتماعي ينعكس غربة عن التقاليد الأصلية وعن البلاد نفسها، غربة عن الوطن وغربة عن المنفى في آن أو غربة منفى الوطن وغربة الغربة ولكن ذلك كله لا يمنع بعض أبطالها من العودة الإيجابية.

وإن الرؤيا المظلة للمستقبل تجد متنفسا لها أحيانا عند شخصيات القصص في الضياع الجنسي الذي يصبح مخدرا، تعبّ منه للبقاء في حالة فقدان وعي، لئلا تفكر بمشاكلها، أو ربما تتوهمها حلا. "رجل آخر. يوم آخر. فندق آخر. مدينة أخرى. وأنا في تخدير جديدة...استقل الطائرة بترقب مدمن يعد إبرة المورفين ليغرسها في عروقه. أعبئ إبرة مروفيني بالمدن النائية بوجوه الغرباء الراكضة في شوارع ماطرة لم أرها من قبل. لكن البطلة تكتشف أن ذلك

[1]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان. المرجع مذكور، ص30-31

لايجدي والنسيان مستحيل والحلول الفردية غير ممكنة، وتقرر البطلة في خاتمة القصة أنها استمرار لحبيبها الرسام الشهيد من أجل قضية. لا حظت أن الانفجار قذف بيده بعيدا عن جسده، يده التي كان يرسم بها. بقيت يدي، أتأملها وسماء زرقاء صافية تمتد بلا نهاية".[1]

في اعتقادي أن غادة السمان، اليوم واحدة من ندرة نادرة من المبدعين الذين استطاعوا أن يواكبوا عطاءهم الفني الجيد بانتشار جماهيري واسع النطاق. وأعزو السبب في أن غادة السمان أصبحت نجمة ساطعة في سماء الأدب العربي، إلى أنها لم تبتذل أدبها، أو تركب موجة تيار سياسي أو آخر، بل حققت ما حققته بجهدها ودأبها وجرأتها وموهبتها الأكيدة.

كذلك "نجد في أعمال غادة السمان تجليات لأحداث تارخية أخرى خاصة الحرب الأهلية اللبنانية وكل العوامل التي دفعتها للاندلاع. تكلم كثير من الكتّاب عن الحرب اللبنانية لكن طرح النساء لها كان مختلفا عن أدب الرجال الذين ناقشوا النواحي السياسية والدينية لها بشكل بحث وتحقيقات شبه وصفية، بينما كان منظار النساء للحرب أشمل و أوسع إنسانيا دون الانحياز لفريق أو أحداث معينة غير الانحياز إلى الصحو والإنسانية بعيدا عن وحشية الحرب الأهلية، وقد كتبن في محراب وحدتهن، ومن الكاتبات نجد كلير جبيلي وإيميلي نصر الله[2] وديزي الأمير[3] وغادة السمان"[4] وغيرهن.

[1]- غادة السمان: رحيل المرافئ القديمة، قصة "الدانوب الرمادي" مشورات غادة السمان، بيروت ط1،ص5

[2]- هي أديبة لبنانية ولدت في عام 6 يوليو1931 في قرية الكفير بجنوب لبنان. نشرت عددا من الروايات والمجموعات القصصية للأطفال وحصلت على جوائز عددية منها: جائزة جبران خليل جبران. وعملت كروائية، صحفية، كاتبة مستقلة، معلمة محاضرة، ناشطة في حقوق المرأة.(يراجع: إيميلي-نصر-الله/https://ar.wikipedia.org/wiki)

[3]- هي كابة، شاعرة، روائية عرافية، ولدت في البصرة جنوب العراق في عام 1935، وعملت بعد تخرجها في التعليم درست عشر سنوات في إحدى المدارس الإعدادية للبنات ثم في دار المعلمات بالبصرة. وعملت كسكرتيرة في السفارة العراقية وقامت بأليف: "قائمة الانتظار: حكايات امرأة عراقية مغتربة" و"في دوامة الحب والكراهية" (انظر: ديزي-الأمير/https://ar.wikipedia.org/wiki)

[4]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص35-36

من أعمالها القصص والروايات وغيرها:

عيناك قدري: (1962م)

كانت هذه المجموعة القصصية المنشورة (في الطبعة الأولى عام 1962م)[1] أول أعمال الكاتبة، وبمجرد ظهورها أحدث ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية العربية حيث بدت موهبتها واضحة وواعدة كذلك ذكاؤها وإبداعها في هذا المجال. وما تناولته من مواضيع يشير إلى بدايات مهنية لامعة رغم كونها لا تزال في مرحلة جنينية في ذاك الوقت، ونلحظ التطور الذي تبعها مع توالي أحداث كثيرة، اجتماعية، سياسية وتاريخية ساهمت في إنضاج الكاتبة إنسانيا وأدبيا. وبطلات القصة كن طالبات تمردن على القواعد الاجتماعية والعائلية ووجدن في التعليم أداة تحرر وسلاح يضمن مستقبلا اقتصاديا ونفسيا، مؤكدة بذلك حق المرأة في بناء ذاتها وإرادتها في التحرر.

لا بحر في بيروت: (1963م)

هذه منشورة في (الطبعة الأولى عام 1963م)[2]، وفي هذه المجموعة نرى تعمقا أكبر في تحليل الكاتبة لعلاقة الرجل والمرأة حيث أظهرت الوجوه العديدة لهذه العلاقة غير المألوفة في المجتمع الشرقي التقليدي، وقد نقدت الكاتبة ذلك الربط الزائف الأعمى والذي لا معنى له للمرأة بالتقاليد التي لم تعد تنسجم مع تغيرات العصر وتطوراته. من الخطأ الاستنتاج بأن الكاتبة تحث على الإلغاء الكامل للتقاليد، ففي أحاديثها الصحفية كانت دائما مدافعة عن كونها عربية أصيلة مع كل ما يميزهذه الصبغة، لكن ما أرادت التمرد عليه هو اعتبار المرأة دون مستوى القدرة على التفكير المستقل، وكون رؤوس الآخرين جاهزة دائما لتقوم عنها بمهمة، وبذلك يتجاوزها الزمن وتطوراته.

[1]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص37

[2]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، دار الطليعة- بيروت، الطبعة الأولى. 2005. ص160

وفي **"غجرية بلا مرفأ"** في **"لا بحر في بيروت"** كما صورت الكاتبة الضياع بتخيلها لرجل أعمى يمشي في أزقة المدينة المهجورة بمعونة عصاه، لا يبصر، ولكنه يتابع السير..... ولهذا السبب أحست بطلة القصة بأنه قريب منها وشبيه لها فمشت معه.

"وأحس بارتباط عميق بيني وبينه... وأسير إلى جانبه... دون أن يسمع وقع خطواتي...

أسير إلى جانبه أتحسس الأرض بعصا نظراتي وهو يتحسسها بعصاه...إنه يتحدث...يحدث نفسه...لا يعنيني ما يقول... وأنا أيضا أهمهم. أحدث فنسي...ونسير...ونسير... ونلوح من بعيد كإنسانين صديقين...يغمرني ارتياح مفجع فأنا معه أمثل أقصى ما يمكن أن تصل إليه أمتن الصلات الإنسانية...بلا زيف وبلا افتعال للحديث...

وإلى جانب الأعمى أسير...كل يحدث نفسه....وتطلع الشمس...وينسكب الناس في الشوارع...وتفوز فقاعات الوجوه حولي...ويضيع الأعمى مني في منعطف ما".....[1]

ليل الغرباء: (1966م)

هذه المجموعة المنشورة في (الطبعة الأولى سنة 1966م)[2]، توضح موضوع الضياع الرومانسي بشكل أكبر. ففي تلك الفترة حوالي 1964م انتقلت غادة السمان إلى بيروت لدراسة الماجستير، وخلال هذه الفترة قامت بأسفار عديدة متواصلة إلى البلاد الغربية وبشكل خاص إنكلترا حيث تابعت دراستها في لندن. يدل عنوان المجموعة على محتواها، ففي القسم الأكبر من القصص تعرض الكاتبة حياة الشباب العرب الذين يعيشون مثلها في لندن. كطلاّب وتعالج المشاكل النابعة من الفروق العميقة بين بلادهم الأم والمجتمع الغربي.

[1]- غادة السمان: لا بحر في بيروت، منشورات غادة السمان، بيروت،ط1، 1963، ص81
[2]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص160

فقد وصفت العادات الغربية والقيم والتقاليد وأسلوب العمل والتفكير المختلفين جدا عما ألفه الشباب العرب في بلادهم، فالمدينة باردة وكل ما فيها رمادي كئيب وسط ضجيج الحركات الآلية النشطة.

"التفتت غادة السمان إلى جيلها، جيل بلا حوافز أو أهداف، قد فقد حاسة التوجه ونقطة الجوع، قد يشكل الغرب له نقطة جذب ومغامرة وتجربة"[1]

رحيل المرافئ القديمة: (1973م)

"صدرت هذه المجموعة في عام 1973م وكانت متشربة بجو تلك الفترة التاريخية، فترة ما بعد الحرب العربية الإسرائيلية لعام 1967م. كما كانت شاهدا على ذلك الحدث الهام الذي خرج العرب منه بالهزيمة".[2]

نحن نجد في هذا العمل تطورا كبيرا في معالجة مختلف القضايا، سواء السياسية أو الاجتماعية، فاتخذت الكاتبة من الهزيمة الحربية نقطة بداية لتعالج بشكل أعم قضية أكثر عمقا: الهزيمة الشاملة، مع إرادة أبناء جيلها واستعدادهم لتجاوز ذلك بالعمل مشمرين عن سواعدهم.

كذلك، كان عنوان المجموعة معبرا لأن ارتحال المرافئ القديمة هو ارتحال في المشكلات الوجودية والتراثية معا المساهمة في ضياع الشباب العربي، وللبحث عن الجوهر، عاكسة فيها الإرادة للتوجه نحو حياة جديدة.

حب: (1973م)

هذه المجموعة الصادرة "في عام 1973م، وهي عبارة عن رسائل كتبت ما بين 1960-1973م، تحوي نوعا من الاعترافات الحميمة للكاتبة، إنها ليست نوعا من المذكرات الشخصية لأنها مثلت فقط واحدا من الوجوه المتعددة لشخصيتها وترجمت ردود فعل امرأة في مواجهة

[1]- عفيف فراج: الحرية في أدب المرأة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1978، ص101
[2]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص41-42

أساليب مختلفة لتفكير الرجل فيما يتعلق بالحب"[1]. إن الكاتبة غادة السمان حاولت التقاط بعض اللحظات القصيرة الهاربة من هذا الشعور وتحليل العلاقة، والحب الذي تحكي عنه غادة السمان في هذا الكتاب أساسه الحرية وردة فعل عن كل كبت حب المرأة العربية.

بيروت75: (1975م)

هي الرواية المنشورة (في الطبعة الأولى عام 1975م)[2] هي " أول رواية للكاتبة بعدما انحصرت كتاباتها لمدة 15 عاما بالقصة القصيرة. دارت أحداث الرواية في بيروت، يمكن اعتبار الرواية نبوءة حقيقية للحرب الأهلية اللبنانية".[3]

كان للرواية شكل فني خاص، فهي تتكون من خمس قصص مستقلة، يجمع بينها الزمان والمكان فقط حيث تتطور ضمنها حالة بيروت قبل الحرب الأهلية. إن الكاتبة قد اختارت فضاء لروايتها مدينة أحبتها رغم ما فيها من أشواك وألغام، فقد كانت موئلا لأحلامها، استطاعت أن تنسج فيها آمالها، لهذا جعلتها ملاذا لأحلام شخصيتها الآتية من دمشق (فرح، ياسمينة) كما أتت منها الكاتبة.

إن الكاتبة تفتتح الرواية بمشهد مأزوم، كي تجسد لحظة مفارقة كل من فرح وياسمينة مدينتهما دمشق باتجاه بيروت، فتزيد إحساس المتلقي بجحيم المدينة التي سيهربان منها. والكاتبة تعمدت منذ الجملة الأولى في الافتتاحية التي تصف شمس دمشق وصفا يحمل دلالات قاسية، هي شرسة وملتهبة، مما يوحي لنا فراق الوطن لم يكن مؤلما، بل كان فراقا متحمسا للحظة الخلاص منه، لهذا نجد فرح وياسمينة يستعجلان الرحيل إلى مدينة الحرية والثراء: بيروت.

أما الشارع الدمشقي فقد "كان ينزف عرقا، ويلهث، الأبنية والأرصفة كانت ترتجف بالحمى وترتعش عبر أبخرة الحر المتصاعدة من كل شيء...حتى الأصوات كانت شديدة

[1]- نفس المرجع ص43-44
[2]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص164
[3]- غالي شكري: غادة السمان بلا أجنحة المرجع مذكور، ، ص143

السمرة والاختناق... ولوهلة خيّل لفرح أن الشارع بأكمله سيغمى عليه. الأشجار، السيارات، المارة، الباعة، والرجل الواقف أمام باب الكراج وهو ينادي بصوت مذبوح: بيروت. بيروت".[1]

صوت الراوي يبدو لنا متماهيا مع صوت المؤلفة، فاختزلت مدينة دمشق إلى شمس شرسة ملتهبة تسوط الشارع فينزف عرقا، أما الأرصفة فقد أصيبت برعشة الحمى وأعمي على الأشجار، حتى الأصوات باتت ذات لون غريب هو لون الاختناق، بالإضافة إلى هذه الصفات المرعبة، تحاول الكاتبة أن تؤسس لهذا الجو المأساوي، عبر رموز توحي للمتلقي بنذر الشؤم، وقد جعلت رفاق السفر ثلاث نساء محتجبات بالسواد ينحن في المقعد الخلفي للسيارة حيث يجلس في المقعد الأمامي كل من فرح وياسمينة، أما السائق فقد كان أخرس يشبه ملك الموت. وانفجرت إحدى عجلات السيارة، كي تزيد المشهد الروائي مأساوية.

لاحظنا كيف بدت مدينة دمشق جحيما لا يطاق، لهذا شكلت بيروت حلما للمسافرين. لكن الكاتبة عرّت هذا الحلم من الأوهام حتى قبل أن تنطلق السيارة نحوها. وإن أول ما تراه ياسمينة قبيل وصولها إلى بيروت يد أبي مصطفى المقطوعة الأصابع، لذلك تحس بانقباض في صدرها، فقد صدمها ما رأته من تشوه يناقض ما حلمت به. وأبوالملا الذي اضطرته ظروف الحياة القاهرة إلى ترك ابنته الصغيرة للخدمة في أحد قصور الحازمية، وقفل عائدا إلى بيته في حي التنك، يعرّفنا على الوجه الفقير لبيروت، حيث البيوت "جدرانها من التنك. المطر يقطر من سقفها شتاء على الأمتعة القليلة المهترئة في البيت ذي الغرفة الواحدة. لا ماء. لا نوافذ. ذباب فقط. وفقر وصراخ وشتائم النساء...."[2]

إن المدينة تبدو لنا موزّعة عبر مشاهد متناقضة بين الغنى الفاحش (نيشان، نمر، فاضل السلموني)، والفقر المفزع (الحارس أبوالملا، الصياد أبومصطفى..) فتبدو أحلام الثراء قد دمرت أية إمكانية للتواصل الإنساني. لهذا حين يلتقي كل من فرح وياسمينة بعد فترة في

[1]- غادة السمان، بيروت75، بيروت، منشورات غادة السمان، ط 1: 1975، ص50
[2]- نفس المرجع، ص66

بيروت، لن يتعرف أحدهما على الآخر، وإن مدينة بيروت لا ترأف بأولئك الضعفاء الذين يأتون إليها متسلحين بالحلم والرغبة السريعة بالثراء، إنها مدينة الأغنياء المهووسين بزيادة ثرواتهم عن طريق استغلال الحالمين من الفقراء.

وإن الكاتبة تبين عبر شخصية ياسمينة أن طريق الحرية يبدأ من الانتماء إلى الوطن والعمل، لذلك كان الفشل حليف كل بطلات غادة السمان اللواتي رفضن المجتمع والتقاليد، ولجأن إلى الجنس بصفته "انتماء بديلا، إذ يكتشفن أن هذا الانتماء لم يكن أكثر من مخدر مؤقت سرعان ما يزول مفعوله"[1]

لا يمكن للمتلقي أن يتعاطف مع هذه الشخصية التي اختارت باسم الحرية الحياة السهلة، وأغمضت عينيها عن مجتمعها ومفاهيمه، حتى دفعت حياتها ثمنا لها. فإن الكاتبة تعمدت عبر بطلتها ياسمينة أن تقدم لنا نموذجا خاطئا لتحرر المرأة، وإن تمرد ياسمينة يجسد تمرد المرأة العربية التي تطمح إلى تغيير واقعها البائس. لكنه تمردا محفوفا بالمخاطر..

كوابيس بيروت: (1976م)

إن الرواية الثانية لغادة السمان الصادرة في (الطبعة الأولى عام 1976م)[2] التي يمكن اعتبارها استمرارا ل**"بيروت 57"**. فإن كانت الكاتبة قد انتقدت في الأولى الأوضاع الفاسدة اجتماعيا وسياسيا ووضع الطبقات الدنيا المنسية والمهملة مع عذاباتها من قبل البرجوازية المسيطرة، ففي كوابيس بيروت يترك الوعي لتلك العوامل ورفضها مكانه للحرب الأهلية الدامية والمستمرة في لبنان.

إن البطلة كاتبة شابة تعيش مأساة الحرب حبيسة منزلها، ورغم محأولات عديدة للهرب، تجد الشابة نفسها سجينة في هذا الفخ دون أي إمكانية للخروج منه لأن المعركة كانت جارية، كانت

[1]- وفيق غريزي، الجنس في أدب غادة السمان، بيروت، دار الطليعة، ط2: 2000، ص107
[2]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص164

الكاتبة الشابة تحاول عبثا نسج رؤية متكاملة ومستمرة للواقع. الحرب موصوفة بكل نواحيها البشعة والمأتمية بشكل **كوابيس "197"** يختلط فيها الوهم واللامعقول مع الحقيقة والواقع.

كوابيس بيروت تجسد قوة الخيال لدى الكاتبة وذلك عندما توقظ فيها الموتى من قبورهم وتجعلهم يتكلمون ويمشون في المقبرة وفي ذلك دلالة على تأثير التكوين الثقافي للكاتبة بتيارات الأدب الغربي. وقد اتخذت هذه الموضوعات "شكل مروحة كبيرة ينشر أضلاعها خيال قوي يتفاعل مع ترسانة معرفية غنية بالأساطير الدينية والحكايا الشعبية والآداب المحلية والغربية مما يشهد على ملكة خيال نادرة الأجنحة وصور ومعادلات تحتوي شحنات التفجير التي تضيئ المعاني داخل كل كابوس"[1]

إن الكاتبة اختارت عنوانا يجسد البنية الفنية للرواية والمقولة الأساسية فيها، إنها الكوابيس التي باتت تصاحب المدينة العربية بيروت، أكثر المدن العربية حرية وجمالا، لكنها تحولت إلى جحيم أثناء الحرب، لهذا باتت حياة البطلة تجسدها مشاهد كابوسية.

يلاحظ المتأمل في البنية الجمالية لهذه الرواية أنها قد تحولت في بعض مشاهدها إلى ما يُشبه المذكرات اليومية. لذلك يبدو لنا صوت البطلة وقد تماهي بصوت المؤلفة التي رأيناها تصرح في الكابوس 106 أن مخطوطة رواية **"كوابيس بيروت"** من بين الأشياء الثمينة التي يعز عليها تركها مثل كراسة مذكراتها، كما في هذه العبارة "وفوق أشياء يوسف وضعت بعض مخطوطات قصص قصيرة، ودفاتر مذكراتي في السنوات السبع الأخير، ومخطوطة "كوابيس بيروت" التي سجلتها فيها يوما بعد يوم ولحظة بعد لحظة وأنا أتأرجح على الخيط الدقيق الفاصل بين الموت والحياة..."[2] نلاحظ أن الكاتبة في اعترافها السابق قد فصلت بين المذكرات التي كتبتها في السنوات السبع الأخير، وبين ما كتبته أثناء معايشتها للحرب الأهلية اللبنانية يوما إثر يوم ولحظة إثر لحظ.

[1]- عفيف فراج: الحرية في أدب المرأة، المرجع مذكور، ص178
[2]- غادة السمان: كوابيس بيروت، بيروت، منشورات غادة السمان، ط1: 1976، ص159

مشاهد الحرب الأهلية القاسية متنوعة في الخطاب الروائي، لعل أقساها تلك التي تجسد تشوه الطفولة، فنرى الأطفال وقد تحولوا إلى جنود مشاركين في الحرب. فهم غادروا براءة طفولتهم، واختزلوها ليعيشوا مرحلة الشباب قبل الأوان. فهم يتصرفون في رواية **"كوابيس بيروت"** تصرفات الكبار المشوهين الذين يحرفون الدين عن غايته السامية. فحاولت الكاتبة عبر التخييل أن تقدم لنا أطفال الحرب وقد عاشوا في عالم كابوسي مرعب، انتزع طفولتهم، وقذف بهم إلى عالم الكبار الذين يرون في الحرب الأهلية حلا لمشاكلهم.

ونحن نسمع صوت البطلة وقد تماهي بصوت الكاتبة، فنعايش رفض هذا العالم التافه حتى إن البطلة تحاول إقناع صديقتها التي تود شراء قط "بأنها بحاجة إلى إنجاب طفل بدلا من الهرب إلى تبني قط... كانت ما تزال تعشق صديقها المتزوج الذي لن يطلق أم أولاده ولن يتزوجها. كان يغدق عليها النقود كتعويض عن شبابها المهدور، وكانت فيما يبدو راضية بالصفقة مع حبيبها الثري، وقد قررت تتويج قصة الحب بتبني قط ما دام إنجابه غير ممكن".[1] فهذا يشير إلى تشوه هذا العالم غير الإنساني لم يكن بسبب الحرب فقط، وإنما بسبب طغيان قيم استهلاكية تعلي من شأن المال على حساب القيم الإنسانية السامية، وإن الكاتبة استطاعت عبر اللغة الساخرة فضح بؤس العلاقة بين المرأة والرجل، وانحطاط ما يدعى حبا، بعدما قتلت معاني الحب النبيلة وتحول إلى سلعة، فباعت المرأة فيه شبابها مقابل مال يدفعه الرجل.

إن حب الكاتبة لبيروت لم يجعلها تغمض عينيها عن مظاهر القبح التي تشوه وجهها، لذلك حاولت أن تبرز حقيقتها ومواطن ضعفها، فهي ليست مدينة جميلة، وإن كانت زينتها ساحرة وألوانها باهرة، إذ إنها تخفي تحتها أوراما خبيثة لا تداوى.

وما نجده بشكل أساسي في الحوادث المروية هو التحام الكاتبة بفترة ثورية وبالحرب، فالبطلة في غمار تلك الأهوال تهوي في أزمة نفسية عميقة: شعورها بواجبها بأن تلعب دورها ككاتبة وأن تعكس ما تراه في وقت بات الهدف الأهم فيه هو البقاء على قيد الحياة. حالتان

[1]- غادة السمان: كوابيس بيروت، المرجع مذكور، ص14

متناقضتان لكاتبة تعي تناقضات الفنانين أمثالها الذين يريدون الثورة ويرفضون سفك الدم في آن واحد. وهذه الرواية قد ترجمت إلى العديد من اللغات العالمية.

ليلة المليار: (1986م)

إن الرواية الثالثة للكاتبة الصادرة في (الطبعة الأولى عام 1986م)[1]. كتبتها غادة السمان متابعة ثلاثية بيروت المؤلفة من **"بيروت57"** و**"كوابيس بيروت"** و**"ليلة المليار"**. وإذا كانت كوابيس بيروت ترسم كوابيس الوطن فإن ليلة المليار ترسم كوابيس الغربة اللبنانية من خلال انعكاساتها على أولئك الذين تركوا لبنان لينجوا بثروتهم وأموالهم في الخارج أو البسطاء الذين غادروه لينجوا بحياة أطفالهم مشمئزين من تجار الثورات الذين باعوهم في المزادات ومن الفساد الرهيب بأقنعة ثورية. واختبرت فيها الكاتبة تقنية تتطلب عمل نحّات لكي تحفر وتعلّم في قرائها وسط العلاقات الناشئة بين كائنات متباعدة تماما يبدو من الصعب أن يقرب بينها شيء ما بل على العكس، فهي في تناقض وتنافر تام فيما بينها.

كما ذكرت د- ماجدة حمود (1954-..م) في كتابها: "إن الكاتبة بدأت مثل روايتها السابقة، كتابة **"ليلة المليار"** أثناء الحرب الأهلية في لبنان (1985م)، واجتياح العدو الصهيوني لجنوبه ووصوله إلى العاصمة بيروت (1982م)، وأنجزتها عام 1985م قبل أن تنتهي هذه الحرب. فسيطرت أجواء الحرب على فضاءاتها، فعايشنا الرعب ممتزجا بحلم الخلاص،.....وتراوح ردود فعله بين الانكسار والتجاوز، بين التشوه الذي يعني بيع الذات من أجل المال ومقاومة التشوه للحفاظ على النقاء كي تستعاد الكرامة ويستعاد الوطن".[2]

وإن الإطار الأساسي للرواية هو وسط أثرياء الحرب وركزت فيه الكاتبة على الفخاخ التي لا تتوقف هذه الفئة عن نصبها لأولئك الذين أجبرتهم الحرب على كسب عيشهم في الخارج وبأي ثمن. وفيها الشخصية-المحور رغيد الزهران، واحد من الأثرياء البرجوازيين،

[1]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص165
[2]- نفس المرجع، ص45

تاجر أسلحة، يعيش في جنيف حيث يدير أعماله. يسكن في قصر صغير يشبه الحصن لكثرة أعدائه. وحول نقطة جاذبيته المالية، يدور كثير من رجال الأعمال من صنفه حيث يبحثون في الصفقات الضخمة والنساء أيضا. وعندما لا يعمل رغيد الزهران، فهو يحتاج إلى أجواء متنوعة ومسلية مع قدرته على أن يخلق حوله أي نوع يريد من أنواع اللهو والمتعة. فعلى الصعيد الفني ليلة المليار واحدة من أفضل الروايات العربية المعاصرة.

إن الكاتبة تتعمد أن تصدم في **"ليلة المليار"** أفق توقع المتلقي. فبعد أن تهيأ المتلقي ليرى عجائب الثراء وبداية مليار جديد، أي بداية حياة جديدة لرغيد زهران، يفاجأ بموته إثر أزمة قلبية في بركة قصره المذهبة التي صممها على شكل رائع، مما يجعلنا نعيش حقيقة أن الموت يقف بالمرصاد لاصطياد حياتنا، وهي حقيقة غالبا ما ينساها الإنسان أثناء لهاثه وراء المال. وأن أية ليلة يمكن أن تكون ليلة الموت، حتى تلك الليلة المصيرية: **"ليلة المليار"**

كأن الكاتبة تريد أن تعاقب أولئك الذين يتاجرون بالوطن، ويسمسرون بأحلام أبنائه، فيبيعون الأسلحة لكل الأطراف المتقاتلة في لبنان، ليكونوا ثروة منتهبة من دماء الأبرياء. لذلك فهي لن تمنحهم فرصة الحياة كي ينعموا بها.

من هنا لا نستطيع أن نفهم شخصية خليل بمعزل عن شخصية أمير الذي يشكل مثلا أعلى للمثقف، فهو "كاتب لم ينجح في شرائه أحد... إنه منحاز حقا للفقراء، لا إلى فقراء طائفة معينة أو نظام معين... منحاز إلى العروبة بمعناها الأصلي، لا بمعنى القمع البوليسي والإرهاب، وقطع أوصال الأرض والبشر وأعناقهم وأرزاقهم..."[1]

ولكن الفارق بين أمير النيلي وخليل أن الأول استطاع أن يجد في المنفى مستقرا وعملا شريفا فيه ينسجم مع مبادئه ويتيح له مساعدة الآخرين، في حين استغلت حاجة خليل للعمل، فعرض عليه رغيد أن يكون مرافقا ومترجما لأحد أبناء الأثرياء الخليجيين هو صقر الذي أفسده المال، فصار يبث الفساد فيمن حوله. فخليل يعاني قهر الحاجة المادية لذلك يجبر نفسه

[1]- غادة السمان: ليلة المليار. بيروت، منشورات غادة السمان، ط1: 1986، ص54

على تحمل صقر لكنه لكي يستطيع الحياة راضيا مطمئنا بل يلاحقه إحساس بالقلق وعدم الأمان.

هكذا تبدع الكاتبة مشهدا روائيا بين الشخصية دنيا ولوحتها، التي تجسد حقيقتها قبل الزواج. سينشأ حوار بين المرأة التي نسيت ذاتها وباعت نفسها لشيطان المال والبذخ، فضاع إحساسها وفنها، وبين اللوحة، أي الفتاة الشابة التي عاشت ذاتها وحققت طموحاتها الفنية، قبل أن تتعرف على نديم. فقد بدأت تحاسب ذاتها منذ أن نسيت فنها أوضحت به على مذبح الاستهلاك والاستعراض، فعاشت الخواء الروحي بأبشع صوره.

الرواية المستحيلة: فسيفساء دمشقية: (1997م)

صدرت هذه الرواية في (الطبعة الأولى عام 1997م)[1]، في البداية يطل علينا المحامي أمجد الخيال في حفل تأبين لزوجته هند التي ماتت إثر تعسّر ولادتها بالتوأمين اللذين توفيا بعدها مباشرة، مخلفة وراءها ابنتها زين، هي بطلة الرواية، وقد أحدث موتها المفاجئ شرخا في حياته الاجتماعية والنفسية والعاطفية، فشبحها يرافقه ولا يفارقه داخل البيت الكبير وخارجه، ويقع البيت في حي شعبي في زقاق الياسمين بدمشق، حيث كانت تعيش فيه معه ومع أهله.

هكذا تحدثت عنها الدكتور ماجدة حمود في كتابها قائلة: "تمثل رواية غادة السمان التي ظهرت في أواخر التسعينيات (1997م) استمرارا لمرحلة النضج في إبداع الكاتبة الروائي الذي لمسناه في **"ليلة المليار"**، فخطت فيه خطوات هامة، مما كرس ريادتها للرواية العربية ليس في سورية فقط، وإنما في الوطن العربي بشكل عام، مما منح الإبداع النسوي في الرواية مكانة متميزة".[2]

إن الرواية المستحيلة تفصح عن رغبة الكاتبة في تقديم سيرتها الذاتية بحرية مطلقة، كما تفعل الكاتبة الغربية حين تقرر تقديم تفاصيل حياتها. لكن غادة السمان تدرك أن ذلك يكاد

[1]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص165
[2]- نفس المرجع. ص79

يكون مستحيلا في مجتمعنا التقليدي، لذلك تلجأ إلى الرواية لتجد فيها ملاذا آمنا لحريتها في التعبير عن ذاتها. وإن الكاتبة تعترف على صفحات هذه الرواية بكتابة المذكرات: "ها أنا للمرة الأولى في حياتي أسطر مذكراتي بضمير المتكلم، وأتحدث عن نفسي... ولا أكتب شيئا نصفه خيال ونصفه حقيقة، ولا أخاف أن يعرف أحد أنني أتحدث عن نفسي ولا أخاف من كوني أقترف ذلك....."[1]

قد دفعت هند، أم البطلة زين، حياتها ثمنا لإنجاب طفل ذكر، بعد أن حذرها الأطباء من الحمل، لذلك ستنشأ البطلة تعاني قلقا بين مفهو م الذكورة التي يعلي المجتمع من شأنها وبين مفهوم الأنوثة التي يستصغرها. وقد تجلى هذا القلق بدءا من الاسم الذي اختاره لها أبوها، وأصبحت تدعى به "زين"، وهو نصف الاسم الذي اختاره للمولود الذكر الذي خيب ظنه ولم يأت. فعاشت زين مواجهة مستمرة بين الإحساس بالنقص والإحساس بالتفوق، لذلك تجاهد لتحقق تفوقا على الذكور، بل على أبيها الذي كان يخاف ركوب الطائرة، فلا تكتفي بركوبها بل تبرع في قيادتها.

كذلك نجد مفاهيم الكبار تتربع في ذهنها الصغير، فتتساءل عن علاقة الجريمة بالأحلام: بصوت البطلة تارة وبصوت الرواية العالمة بكل شيء التي تتحدث عنها تارة أخرى: "وامتلأت غضبا ضد الذين يجعلون خيانة الذات بطولة... ولكن من هم؟ إنها لا تعرف على وجه التحديد، ولكنها تعرف أنها ستكون عدوتهم إلى الأبد... أولئك الذين يجعلون التطابق بين القول والسلوك مستحيلا، ويكرسون الانفصام بين نبض القلب والممارسة".[2]

لا شك في أن هذه اللغة الناضجة في لغة الكاتبة المثقفة التي تستجمع ذكرياتها وتضيف إليها من الخيال، وتسبغها بدورها على شخصيتها، كي يستطيع المتلقي الإطلاع على أهم الأفكار والمفاهيم التي اعتنقتها الكاتبة في حياتها.

[1]- غادة السمان: الرواية المستحيلة: فسيفساء دمشقية. بيروت، منشورات غادة السمان، ط1: 1997، ص487
[2]- نفس المرجع، ص402

تفقد الطفلة زين أمها التي توفيت وهي في الخامسة من عمرها، لهذا ستعيش منفية عن الحنان، ثم نتعرف إلى زين عن قرب، زين الطفلة الفضولية وهي تحاول اكتشاف العالم من حولها، فتبدو طفلة مشاكسة ضعيفة خائفة حالمة حساسة خجولة. ونراها تكبر يوما فيوما في هذا البيت المسكون بأشباح الأحياء والأموات، فكانت دائما تحلم بأمها ولا تفرق بين الحلم واليقظة، وكان أبوها يصحبها في أوقات فراغه وضيقه في زيارات إلى أصدقائه، ويعلمها كيف تروّض نفسها، ويشجعها على التحصيل العلمي.

وكثيرا ما انتقلنا إلى عوالم من الأحلام والمغامرات، فنراها تطارد كوابيسها، وتعيش في أحلام يقظتها مع أبطال الروايات والقصص التي تطالعها منذ صغرها، وقد بدأت تخط أحلامها وكوابيسها على الورق خجلا من أن ترويها لأحد، وتخفيها تحت وسادتها.

ومن الملاحظ أن هناك حدثين قد غيرا في مستوى الوعي لدى بعض الشخصيات، وهما وفاة هند وزواج فيحاء ممن تريده، فقد أصبحت البنات يطالبن بحقهن في التعليم والعمل أيضا. في هذه الأحداث تقوم الكاتبة بتعرية الواقع السياسي وتغيراته، وحقائق رجال السلطة الخفية، وانعكاس الانقلابات على الشخصيات وعلى البلد، واستلام الضباط الأحرار الحكم كما رصدت الحركة الثقافية والتراث الشعبي لدمشق في ذلك الوقت. وتكبر زين ويبدأ الوعي عندها بالتفتح على عوالم جديدة، فتغدوعاشقة للكون ولكل من حولها.

وفي النهاية تتعرض لحادث في الطائرة الشراعية التي تتعلم قيادتها بصحبة الربان، حيث انتابته أزمة قلبية مفاجئة، ولا مفر أمامها من قيادة الطائرة بنفسها والهبوط بها، وتم ذلك بصعوبة بالغة، والجميع قد افتخر بشجاعتها.

سهرة تنكرية للموتى: (2003م)

صدرت هذه الرواية في (الطبعة الأولى عام 2003م)[1]، وإن الرواية هي رواية عشق وقلق على بيروت التي حضنت إبداعها. لهذا جمعت أبطالها الذين يعيشون أوجاع الغربة في رحلة إلى الوطن، فبدت هذه الرحلة أشبه بسهرة تنكرية تفرز الأحياء المحببين لبيروت عن الموتى الذين ينتهكون قيم الحياة الأصيلة، فيعيثون فيها فسادا وينشرون الموت أينما حلوا، حتى البحر لم ينج من شرهم فقد لوثوه بالنفايات النووية لهذا لم تجد الكاتبة معادلا فنيا لهؤلاء ناجي وعبد الكريم سوى الجرذان التي نشرتها في كل مكان في المدينة، في حين نجد الأحياء ماريا، والد فواز، خليل الدرع يحاولون إعادة بنائها كما نبضت في ذاكرتهم مدينة للحرية، ويحاولون مقاومة الدمار الذي حل بها عبر الكتابة والحلم والذاكرة.

هناك صورة لبيروت تحاول الكاتبة ترسيخها في ذهن المتلقي، إنها تلك المدينة التي تقاوم الأقنعة وكل ما يشوه الإنسان، كما تقاوم موتها بحيوية نادرة، مما يبعث العزيمة لدى عشاقها، ويغيظ أعدائها، إنها "مدينة حية أكثر من مشيعيها، وحافري قبرها، وستظل ترقص حتى في طريقها إلى قبرها. ستغادر تابوتها وتسخر من المشيعين، وتقف فوق خشبه لترقص في جنازتها، وتقرع سقف التابوت بكعبي الحذاء، وهي تدبك مرحة ومصرة على الحياة والضحك".[2]

تتنازع في هذا المقطع لغة الموت "المشيعون، حفاروالقبور، التابوت، الجنازة، القبر..." ولغة الحياة وترقص، تغادر، تسخر، تقرع، تدبك فرحة، مصرة على الحياة والضحك...". وتختار الكاتبة أفعالا بالغة الحيوية تؤكد قوة الحياة وعنفوانها في هذه المدينة التي تغلبت بالإصرار على الحياة وغلبت الفرح على الموت.

إن الكاتبة تبدأ الرواية من مطار باريس لتصور جوا مشحونا بالتوجس والضبابية حيث تشهد الرواية عددا كبيرا من الأبطال المغتربين في فرنسا، وترافقهم طبيبة فرنسية لقضاء إجازة في بيروت، وكلهم اجتمعوا لهدف واحد. وهو الرجوع إلى لبنان، ولكنهم

[1]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص165
[2]- غادة السمان: سهرة تنكرية للموتى، بيروت، منشورات غادة السمان، ط1: 2003، ص28

مختلفون في مخططاتهم والبعض منهم أراد عودة دائمة والبعض أراد معرفة مدى شوقه للبلد الذي تغير كثيرا منذ أيام الحرب، ونحن في هذه الرواية نشعر بالخير والشر والأمل والإحباط والأحلام والكوابيس والعشق والكره كلها في وقت واحد.

وإن الكاتبة جسّدت في هذه الرواية كل فئات لبنان في حربهم الأهلية التي لم تعرف الانتهاء وخطت رواية من خيال وواقع من ألم وشوق لعودة لبنان. فالرواية مؤلمة وتحمل الكثير من البؤس وترثي لحال لبنان الذي انقلب خلال هذه الحرب إلى بلد الطائفية وبيع الأعضاء وتجارة السلاح وبلد الجنون والموت، فجعلت اللبناني يرحل من بلده أو يحلم بالرحيل وتبقى كوابيس لبنان تلاحقه في منفاه.

هكذا تحدثت عنها الدكتورة ماجدة حمود في كتابها قائلة: "تجسد لنا الكاتبة بيروت في صورة امرأة استثنائية، قادرة على الحب والعطاء مهما كانت الظروف، لذلك تعيش في وجدان كل من يعاشرها سواء أ كان يسري دماؤها أم كان غريبا عنها "كماري روز التي وجدت فيها ملاذا لأحلامها في حين وجدت الكاتبة ماريا فيها منبعا لإلهامها، فأية زيارة لها لابد أن تكون وحيا بكتابة رواية جديدة".[1]

الأعمال غير الكاملة:

منذ عام 1978م، إن الكاتبة "نشرت كتابات مختلفة بمحتويات متنوعة قصصية ومسرحية ونقدية وأدب رحلات ومقالات صحفية منشورة أو غير منشورة كتبت لبعض الصحف والمجلات العربية، جمعتها الكاتبة تحت قاسم مشترك يجمعها. نجد فيها أيضا أشكالا أدبية أخرى كالمجموعات الشعرية وبعض المقالات والتحقيقات الصحفية حيث ضمنت ذلك في عدة كتب واندرجت هذه الكتابات فيما أسمته: الأعمال غير الكاملة".[2]

[1]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص120-121
[2]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام، المرجع مذكور،ص55

فبعد أن أتى الحريق على كثير من مخطوطات الكاتبة بسبب انفجار قذيفة في منزلها في بيروت داخل غرفة مكتبتها، أرادت أن تتفادى بذلك كل حريق آخر قد يلتهم أعمالا أخرى.

زمن الحب الآخر: (1978م)

هذا الكتاب صدر في (الطبعة الأولى عام 1978م)[1]، يتبعه كتاب **"الجسد حقيبة سفر"** في (الطبعة الأولى عام 1978م)[2]، وهو ينتمي إلى أدب الرحلات وقد جمعت فيه الكاتبة انطباعاتها وملاحظاتها خلال أسفارها الطويلة في العواصم الأوربية والعربية، فوصفت العادات والتقاليد وأساليب الحياة المختلفة، منوهة بشكل بارز بالفروق الثقافية التي ركزت عليها بين المجتمعين، العربي والغربي.

السباحة في بحيرة الشيطان: (1979م)

هذا الكتاب صدر في (الطبعة الأولى عام 1979م)،[3] الذي يشمل مقالات تتميز بخروجها عن المواضيع المألوفة، فقد عالجت فيها مسائل الجنون، علم النفس، ظاهرة الحلول وما وراء النفس والطبيعة والتنويم المغناطيسي، وسبرت أعماق النفس الإنسانية بدأ من هذه الظواهر المتنوعة.

ويعتبر هذا الكتاب "أول محاولة باراسيكولوجية من نوعها في الأدب العربي الحديث، ولكن غادة السمان أعدت لها بذخيرة ومؤونة وافرة من خزانة الأدب العالمي"[4]

ختم الذاكرة بالشمع الأحمر: (1979م)

صدر هذا الكتاب في (الطبعة الأولى عام 1979م)،[1] نجد فيه نصوصا كتبتها خلال فترة مبكرة، أي في المرحلة التي كتبت فيها "عيناك قدري" المطبوعة بالرفض والمعارضة

[1]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص160
[2]- نفس المرجع المذكور، ص162
[3]- نفس المرجع المذكور، ص155
[4]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، نقلا عن جورج طرابيشي: مجلة الأسبوع العربي، 2979

للتقاليد والظروف المجحفة بحق المرأة. نجد ضمنها أيضا مقالات كتبتها في الستينات والسبعينات وفيها بحث عام وتساؤلات عن الحياة والحب والموت، مطبوعة بالرقة والحنين والكآبة وكاشفة فيها الهموم المؤلمة لبلادها.

اعتقال لحظة هاربة: (1978م)

صدرهذا الكتاب في (الطبعة الأولى عام 1979م)[2]، وهو مجموعة أشعار عن الحب ممزوجة بذكريات بعيدة ماضية ننظر من خلالها نظرة الكاتبة للحب كلحظة عابرة هاربة مع الزمن لا يمكن لغير الفن اعتقالها. وقد صدرت مختارات من هذه النصوص في ديوان مترجم إلى الفارسية بعنوان **"اعتقال قوس قزح"**[3] وبالإنكليزية أيضا.

مواطنة متلبسة بالقراءة: (1980م)

صدر كتابها هذا في (الطبعة الأولى عام 1980م)[4] الذي جمع نصوصا "قدمت فيها الكاتبة بأسلوبها الخاص دراسات في النقد الأدبي مبرهنة بذلك على تطور انتماءاتها الأدبية مع ميلها إلى البحث الأدبي. تناولت غادة السمان فيه بشكل أساسي موقف بعض الكتاب المعروفين في مواجهة الحرب. كذلك خصصت فيه جزءا لدراسة مسرح اللامعقول وأنواع أدبية أخرى جديدة على القارئ العربي بشكل عام، كالخيال العلمي، الروايات البوليسية، الصحافة الواقعية وأدب الأطفال".[5]

الرغيف ينبض كالقلب: (1980م)

---

[1]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص155
[2]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص155
[3]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص57
[4]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص156
[5]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص57-58

صدر هذا الكتاب في (الطبعة الأولى عام 1980م)،[1] الذي تطرقت فيه إلى مختلف نواحي حياة المجتمع اللبناني بشرائحها الاجتماعية المتعددة في المناطق النائية من الوطن حيث لا طرق مواصلات وكهرباء ولا ماء ولا مدرسة مناسبة للمواطنين المنسيين في وطنهم.

ع غ تتفرس: صدر هذا الكتاب في بيروت (الطبة الأولى1980م)،[2] هو يشمل تحقيقات صحفية "أجرت فيها الكاتبة سلسلة من التحقيقات شبه البوليسية، هو الأكثر شهرة من بينها بدون ريب، كان حول جريمة مهدي اليعقوبي في الهولياداي في عام 1974م. فتحت غادة السمان باب البحث في علم الجريمة وتابعته سواء في بيروت أو في الكويت وبرلين. يبدو الريبورتاج أشبه برواية بوليسية مثيرة ولكنها في نفس الوقت حقيقية لأن شبكة أحداثها قد نسجت من وحي رسالة إلى الكاتبة في عام 1974م موقعة من قبل القاتل مهدي اليعقوبي نفسه قبل انتحاره يروي لها في الرسالة اعترافات استثنائية. ترضي هذه النصوص فضول القاري وتجذب اهتمامه بدون شك، مظهرة المواهب والوجوه المتعددة لشخصية غادة السمان".[3]

صفارة إنذار داخل رأسي: صدر هذا الكتاب في (الطبعة الأولى عام 1980م)،[4] و" كان فيه الإهداء بخط اليد معبرا:

"لا إهداء"

لا أهدي هذا الكتاب إلى أحد.

لا أجرؤ على اقتراف ذلك.

ليس فيه ما يطرب له الناس من أخبار. فيه الجرح الذي قد يشيحون بوجوههم عنه متجاهلين. وفيه صوت صفارة الإنذار القادمة من الأعماق، والتي قد يح أو لون حجب صوتها

[1]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص156
[2]- نفس المرجع المذكور، ص156
[3]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، نفس المصدر، ص58
[4]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص156

خلف موسيقى الحوار اليومي الصغير وهل بينكم من يرغب حقا بمشاركتي عذاب الوعي بصفاراتنا الجهنمية؟ وهل...وهل...." [1]

في هذا الكتاب نصوص فكرية وآراء واقتراحات فعالة، أرادت غادة السمان نقلها للقارئ، متعلقة بالمشاكل السياسية والاجتماعية للبنان خاصة والعرب عامة. فكان الكتاب صرخة حرية ونداء القلم والكلمة إلى رفض السلبيات وإلى العمل المجدي الفعال.

كتابات غير ملتزمة: هو الكتاب صدر في عام 1980م،[2] تبعته في نفس العام المجموعة الشعرية **"الحب من الوريد إلى الوريد"**، وفيهما صرخة من أجل الحرية كما في أعمالها كلها.

القبيل تستجوب القتيلة: صدر هذا الكتاب في (الطبعة الأولى عام 1981م)،[3] وفيه مجموعة مقابلات صحفية أجراها العديد من الصحفيين معها منذ 1969-1980م. وإن الكاتبة اختارت نشرها كأفضل وسيلة معبرة عن شخصيتها كامرأة وكاتبة.

البحر يحاكم سمكة: صدر هذا الكتاب في (الطبعة الأولى عام 1986م)،[4] وهو "استمرار لسابقه يشمل أحاديث صحفية منذ 1961-1985م مصنفة حسب مواضيعها المختلفة:

1- أحاديث لم تحدث(بل ألصقت بها)

2- سيرة ذاتية.

3- استجواب حول الجنس، المرأة، الرجل، التحرر.

4- استجواب حول قضايا أدبية.

5- من كل بحر موجة.

---

[1]- غادة السمان: صفارة إنذار داخل رأسي، منشورات غادة السمان، بيروت، الطبعة الثانية،1985

[2]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المصدر مذكور، ص59

[3]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص156

[4]- نفس المصدر المذكور، ص156

وهي ترى أن كل حوار صحافي جيد هو قصة حب بمعنى ما، ففيه لغة مشتركة، ومحاولة التقاء ومعرفة ومحاولة انتماء ونوع من تدمير الوحشة تبدأ الحوار وتنتهي معه دون أن تخلف كقصص الحب غصة أو حقدا".[1]

تسكع داخل جرح: صدر هذ الكتاب في (الطبعة الأولى عام 1992م)،[2] هو يأتي أخيرا الجزء الثالث من سلسلة أحاديثها الصحفية.

غربة تحت الصفر: صدر هذا الكتاب في (عام 1986م)،[3] وهو صرخة ضد الغربة ومن أجل امتلاك الحرية.

الأعماق المحتلة: صدر هذا الكتاب في (عام 1987م)،[4] وهو كتاب نقدي اجتماعي.

أشهد عكس الريح: صدر هذا الكتاب في (الطبعة الأولى عام 1988م)،[5] وهو نصوص شعرية.

[1]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المصدر مذكور، ص59-60
[2]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص156
[3]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المصدر مذكور، ص60
[4]- نفس المصدر، ص60
[5]- د- ماجدة حمّود: جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان، المرجع مذكور. ص158

الباب الثاني

صورة المرأة في الرواية المعاصرة

- صورة المرأة في الرواية الحديثة
- صورة المرأة في الرواية العربية
- صورة أوضاع المرأة الاجتماعية

الفصل الأول

صورة المرأة في الرواية الحديثة

إن المرأة لها دور كبير في المجتمع، حيث إنها تساهم في عملية التقدم والتحرر، فإن الشعراء اهتموا بها في شعرهم والروائيون في روايتهم، وعبر عدد من الروائيين والروائيات عن المرأة وأبرزوا صورتها في رواياتهم، حيث إن حركة المرأة ترتبط بحركة المجتمع من جهة، وهي من جهة أخرى تمثل دلالة ورمزا موحيا عن الوطن والمجتمع.

بالإضافة إلى ذلك أن صورة المرأة في الرواية كانت تتعدى وجودها الفردي لتعبر عن حقائق أبعد من هذا الوجود، كأنها تكون رمزا للنوع الأنثوي، أو لشريحة اجتماعية خاصة، ويلاحظ من التطور الفني لصورة المرأة في الرواية، أن الروائي يسعى إلى إظهار المرأة كإنسان حر يلعب دورا هاما في بناء الوطن والمجتمع على قدم المساواة مع الرجل.

وفي هذا الفصل سنقوم بعرض بعض الروايات التي تحمل صورة المرأة وتبين مدى فاعليتها في الحياة، وأوجه تميزها في المساهمة في صنع الحياة والمجتمع. وكذلك ملامح النقوص، حيث إن المجتمع يتغير نحو النضج، وهذا ما يجعل تجربة المرأة أخصب التجارب في المجتمع، لأن ميزات التغيير تكون منعكسة عليها، وتخوض تجارب عديدة لإثبات الوجود وتكشف مواطن التغيير التي يمر بها المجتمع، بحيث نقول إنها تصلح من الناحية الفنية أن تكون رمزا له.

قضية الحب: أزمة الحرية الذاتية للمرأة

أكد بعض الروائيين في الرواية على حرية المرأة واستقلالها العاطفي مثل بطل فرد يحقق بحريته السعادة لنفسه وللآخرين، كما يحقق بها تقدم المجتمع وصلاحه اللذين يؤديان في النهاية إلى تحرر الوطن وسعادته.

إن أول رواية نلمسها تمثل هذا الاتجاه هي رواية **"زينب"** (1912م) لمحمد حسين هيكل (1888-1956م)[1] وقد حظيت صورة المرأة وأزمتها في المجتمع بعناية للغاية من المؤلف واستنفذ فيها كثيرا من جهده.

زينب في الرواية الشخصية قد كانت بنت الطبيعة العذبة، الجميلة بدرجة تصبح معها معشوقة لكل من يراها، وقد أحبت عاملا زراعيا مثلها هو إبراهيم، ولكن الأقدار لا تهادنها، إذ تخطب لغير من أحبت ويرحل الحبيب، وزينب تساق إلى بيت الزوجية كشاة ضالة، فهذه الصورة التقليدية للزواج توحي بأن المرأة ما زالت كالجارية والأب قد تصرف في يد ابنته برأيه، وباعها مساواة، وبقي أن تجيز هي عمل شخص أعطته الطبيعة من السلطان أنه أبوها، فهل الفتاة تقدر من بعد ذلك على رد ما عمل؟. [2]

وهناك يتنازع في زينب أمران: أولهما القيام بالوفاء للحبيب، وثانيهما القيام بالإخلاص للزوج، وشخصية زينب تنمو بنموالأحداث في الرواية، ونرى مع كل موقف جديد بعدا من أبعاد شخصيتها، ولكن كثرة الأحزان أيضا كانت نامية معها.

ومع كل هذا زينب تموت بالسل، وتموت وهي مدركة لمحور أزمتها وشقائها بوعي، ولذلك زينب توصي أمها بعدم إجبار أو إكراه أخواتها على الزواج من أي شخص لا تحبه ولا تقتنع منه. وعلى هذا فإن زينب في الرواية تستقطب تلك القضية الاجتماعية، وقد استطاع المؤلف أن يضمن لها كثيرا من عناصر الفوز الفني المطلوب للشخصية. وأوضح المؤلف أيضا الحركة الإيجابية لشخصية زينب وسط محيطها الاجتماعي، فهي فلاحة تعمل في المزرع والبيت ولا تهدأ حركتها المادية والفكرية ليلا ونهارا، فهي دائمة متحركة لا يستقل جسدها وروحها حتى تصل الرواية إلى انتهاء حياتها.

---

[1]- ولد في برقين من أعمال الدقهلية بمصر في أسرة وجيهة، وحفظ القرآن وتعلم في مدرسة الخديوية الثانوية وتخرج في مدرسة الحقوق عام 1909، ثم التحق بكلية الحقوق في جامعة باريس لدراسة الاقتصاد والسياسة. وبعد عودته إلى مصر تابع الكتابة في الصحف والجرائد. منها "السفرور"و"الأهرام". واشتغل ببعض المناصب الوزارية للمعارف وللشؤون الاجتماعية(انظر: زينب لمحمد حسين هيكل: الدكتور رحاب عكاوي، دار الشرق العربي، ص5)

[2]- محمد حسين هيكل: زينب، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 2006، ص105

وعلى هذا، شخصية زينب جديرة بالذكر أن تحمل القضية الاجتماعية التي كانت تفرض نفسها على الواقع كما أحسه المؤلف، ولعل هذا الشعور هو الذي يجبر المؤلف على ما يسمي الرواية باسم "زينب" وبذلك نلاحظ أن هذه الرواية تبلور أزمة الحب كأنها تعبر عن أزمة الحرية الذاتية والظلم الاجتماعي الذي يسلب المرأة سعادتها واستقلالها العاطفي.

هكذا ذكرت غادة السمان في روايتها **"بيروت75"** (1983م) مثال أزمة الحب: ياسمينة تنطلق إلى بيروت بعد أن سئمت حياتها، كانت مدرسة في مدرسة الراهبات في دمشق، تريد اللقاء بأخيها المتسكع في بيروت على أمل تحسن أوضاعها المادية، ياسمينة تشق طريقها بجسدها بعد الوصول إلى بيروت، فتغدو محبوبة الشاب الثري "نمر السكيني" ابن أحد النواب من أصحاب النفوذ يقودها معه إلى غرفة ويقضي معها أحلى ليالي الهوى ويغدق عليها المال الوافر والملابس الفاخرة والعطور الخلابة، وياسمينة سعيدة للغاية بذلك. "إنها لا تستطيع أن تصدق كيف تركت جسدها يتحرك طيلة هذه الأعوام دون أن تكتشفه...كانت لها مغامرات سريعة وعابرة، وكان جسدها يتجنب التجربة دائما...كيف حملت جسدها طيلة هذه السنين كعبء، كجثة، كمجرد أداة للتنقل وحمل الطباشير....جسدها الثمين تكتشفه لأول مرة كعالم من اللذات...ولولم تأت إلى بيروت لظلت إلى الأبد تجهل كيف تستطيع أن تشتعل، وأن تنتفض، وأن ترقص بجنون تحت لمساته..."[1] وإن نمر السكيني الذي يتلذذ بها طوال الأيام، يشعر بملها ويتزوج ابنة الوجيه، "فاضل بك السلموني" فتحزن ياسمينة للغاية وتتساؤل: لماذا لم يتزوجها مادام يحبها....؟ فيجيبها: أنا لا أتزوج فتاة أسلمتني نفسها قبل الزواج.

"هل يمكن أن أحب، أنا نمر ابن فارس السكيني؟...أنا أحب فتاة فقيرة، جاهلة بقواعد السلوك الاجتماعي، سيئة الذوق في اختيار ثيابها، أسلمتني جسدها بلا زواج؟ . حب حب حب. هذا كل ما تتحدث عنه أو تفهمه. بالنسبة إلي هناك علاقات جنسية لا بأس من استعمال لفظة حب قبل ممارستها، وهنالك علاقات زوجية أهم ما فيها تناسبها مع أوضاع والدي السياسية والمالية وأوضاعي. كل العاهرات اللواتي ضاجعتهن كن يتحدثن عن الحب، لكن هذه أكثرهن

[1]- غادة السمان: بيروت 75، المرجع مذكور، ص14

إصرارا. تراها صدقت كذبتها؟ تراها تتوهم أنها تحبني حقا، وأن الحب موجود حقا؟"[1] فتدرك ياسمينة أن حلمها قد انهار.

ويتلذذ أخوها المتسكع في بيروت بأموال وافرة يغدق عليها نمر السكيني، وعندما رأته ياسمينة "فرحت حين دخل شقيقها. فوجئ بها وامتلأ وجهه غضبا. تذكرت أنها لم تدفع له نقودا منذ أسابيع. لم تدفع ثمنا لصمته عن الشرف الرفيع، صرخ بها: "حسنا فعلت بمجيئك للدفع...لا أملك قرشا واحدا للسهرة".

ولا أنا.

كيف؟ ونمر بك السكيني؟ !

سيتزوج.

أيتها الكاذبة الحقيرة ! إذا بدأت بالعمل لحسابك الخاص وصار لك أكثر من عشيق؟ هجم عليها. انتزع حقيبة يدها. لم يجد شيئا. اهتاج. بدأ يضربها على وجهها ضربات سريعة متلاحقة ويشتمها سائلا: "أين النقود أيتها الساقطة؟ أين؟ أين؟"[2] فكان هذا الحب خاليا من الإخلاص بل هو حب مؤقت للتذذ.

صورة المتمردة في الرواية التحليلية:

إن الوضع الاجتماعي للمرأة قد تطور عندما دخلت المدارس والكليات والجامعات، وتحركت بدرجة تستوجب تنظيما جديدا لخلق علاقة الرجل بها، هو يقوم على الفهم والحب والمساواة، ولكن المجتمع لم يتغير بالدرجة المطلوبة، مع أن الشخصيات التي تعبر عن هذه

[1]- غادة السمان: بيروت 75، المرجع مذكور، ص73

[2]- نفس المصدر، ص88

الصورة كلهن زوجات، وبذلك نعتبر الثورة موجهة من قبل المرأة كجنس لا إلى الرجل كزوج، وإنما كجنس أيضا، باعتباره مستلب حريتها لا يتعامل معها ككائن بشري له إرادة يجب احترامها وينبغي قدر عواطفها. وسأحاول توضيح هذه الصورة في رواية **"إبراهيم الثاني"** (1943م) لإبراهيم عبد القادر المازني (1890-1949م)[1]

إن "تحية" كانت بطلة "إبراهيم الثاني" وقد عبرت عن هذه القضية، لذلك لم يكن غريبا أن يهدي المؤلف الرواية "إلى كل تحية يشقى صبرها ببعلها أحيانا" [2] ومع أنها قد تزوجت عن حب وخيار وحصلت على قسط من التعليم وعلى قدر الذكاء والجمال فإن الزوج يفقد فيها ما جذبه إليها حين رآها مخطوبة لغيره أول مرة.

ومع أن شخصيتها تظهر في الرواية حية نشطة فإن حركتها الدرامية تبهت بفتور عاطفتها نحو زوجها.

هي قد تزوجت بداية من رجل يحلم بزوجة مثل "أمه" ومن ثم اتسع الفراغ بفقد الأم بالإضافة إلى انعدام الولد وكثرة وساوس الزوج، وكانت الأم على وعي كامل بما تخلفه من فراغ في حياته، لذلك أوصت الأم تحية أن تكوني له "صديقة قبل أن تكون له زوجة، ولا تقولي إنه زوجي ويعرفني معرفتي نفسي فما داعي التكلف؟ ينبغي أن تكوني له كل يوم امرأة جديدة تتصدى له وتغريه وتفتنه. وإنه لعناء يا بنتي ولكنها لعنة جنسنا ولا حيلة لنا إلا أن نتكلف العناء إذا أردنا أن نحتفظ ببعولنا. وسامحيني يا تحية واغفري لي أنصح لك كأني أسيء الظن بعقلك فإنها تجربتي، من أنفع بها إذا لم أنفعكما؟"[3]

---

[1]- أديب مصري كبير، وناقد وشاعر، ولد في 18أغسطس 1890 لأب كان يعمل محاميا. تخرج في مدرسة المعلمين العليا عام 1909. وعمل مدرسا للترجمة في مدارس التعليم الثانوي ثم مدرسا للغة الإنجليزية بدار العلوم، حتى عام 1914. وبدأت صلته تقوى بالصحف والمجلات يكتب ويترجم لها بعض الأعمال. تنوعت مجالات إبداع المازني فكتب الشعر، والرواية والقصة، والمقال القصصي والمسرحية والنقد الأدبي. (انظر: قاموس الأدب العربي الحديث، د- حمدي السكوت، المرجع مذكور، ص18)

[2]- ابراهيم عبد القادر المازني، إبراهيم الثاني، دار الهدى لتأليف والنشر والتوزيع، 2000، ص5

[3]- نفس المرجع، ص52

وبذلك يبلغ إفلاس تحية العاطفي إلى منتهاه عندما لا تتمثل نصيحة الأم. ومن هنا نشعر بسر سلبية المرأة في الرواية، لأن الواقع لم يحرر المرأة تحريرا تاما يكفل لها أن تكون على درجة مساوية مع الرجل، وبذلك عدم التحرر الكامل للمرأة جعلها لا تحس الأزمة بينما أحسها الرجل، لذلك تنشأ الأزمة في نفس الرجل لا في نفس المرأة.

وعلى هذا تصبح شخصية تحية أقرب إلى البساطة والتسطح، وثورتها أدنى إلى الإحساس المبهم بالجفاء والملل، غير أي محاولة للتعبير أو محاولة لرد الزوج الناشز الذي ما استطاعت في حياتها الطويلة معه أن تعمل شيئا يختلف عن رأيه ولا نازعتها نفسها أن تخالفه.

فإذا نلاحظ أن المجتمع مجتمع رجال، لذلك كان الوعي الكامل في الشخصية النامية الإيجابية للزوج.

وإن هذه الرواية كغيرها من الروايات التحليلية، يجمعها بصفة عامة الطريقة التحليلية النفسية في المعالجة الفنية للأحداث، حيث يمزج فيها الفنان، "مع نبرة الاعتراف تصوير الأهواء وفن الحياة الأسرية والحوار والاستحضار الخفي للحياة البرجوازية والسرد المتقن والحوادث الباريسية، وهي إذ تصرفنا عن مختلف مظاهر الواقع، إنما تدعونا إلى أن نعيش في عالم العواطف".[1]

ومع وحدة الموضوع وتقارب المنهج إن تجربة كل أديب تحمل خصوصية معينة تبلور رؤيته للواقع وطريقته الفنية في معالجته، كما أن تطور الصورة في مثل هذه الروايات يعتبر تطورا طبيعيا للجرأة في تناول الصورة الفنية المنعكسة عن واقع أكثر تقدما.

وإننا قد لاحظنا في رواية "إبراهيم الثاني" تمرد المرأة السلبي، ثم ازدادت الصورة واضحة إلى أن تمردت بالقول والفعل معا.

[1]- ر- م. ألبيريس: تاريخ الرواية الحديثة، ترجمه جورج سالم، ط 2، بيروت- باريس، منشورات عويدات، 1982، ص91

صورة المتمردة على التفاوت الطبقي:

إن الروائيين استخدموا صورة المرأة كأداة فنية للتعبير عن الأزمات التي يتعرض لها البشر نتيجة سوء توزيع الثروة الاقتصادية، وإن أول محاولة لرسم إطار هذه القضية من خلال صورة المتمردة على سوء الوضع المادي والمتطلعة إلى أحسن مستوى اجتماعي.

وحواء في رواية **"حواء بلا آدم"** (1934م) لمحمود طاهر لاشين (1936-...م)[1] هي تعبر عن أزمة البرجوازية الصغيرة التي تتعالى على بيئتها المليئة بالبؤس والفقر وتتطلع إلى الطبقة الأرستقراطية لتبحث في كنفها عن السعادة والحب، وتكون النتيجة ضياع الجهد والأمل والحياة أحيانا.

فحواء هي فتاة منقطعة من أهلها إلا من جدة عجوز، وقد استطاعت بذكائها أن تكون معلمة، وأن ترشح لبعثة إلى الخارج، لكن بسبب فقرها فضلوا عليها زميلة غنية دونها ذكاء.

وإن البطلة حواء تحدث ما حصل معها إلى صديقتها بطريقة مباشرة "إنهم فضلوها يا عزيزتي لأنهم يظنون أنها من طبقة أفضل من طبقتنا، طبقة لها الحول والطول والأمر النافذ أيضا، أما نحن الفقراء المساكين فيجب أن نحتفظ بمستوانا، فإذا رفعنا رؤوسنا خفضوها وكلما تقدمنا بمجهودنا أخرونا...."[2]

وإن أزمة حواء ليست أزمة فرد وإنما هي أزمة طبقة بأسرها، وقد أوضح الكاتب في الرواية أنه لا جدوى من الثورة على هذه الطبقة، التي تخنق من دونها وتسلبها حقوقها، "عزيزتي: قد نذبح وتسلخ جلودنا في مجزرة هذا العصر المتقلب غير الثابت على مبدأ أو فكرة، ولكن لن نكون معصبي الأعين كالبهائم، بل نسمع ونرى وفي هذا تسلية لنا"[3]

---

[1]- ولد طاهر لاشين الروائي الجزائري في صدارتا بالشرق الجزائري. درس بمدرسة ابن باديس بالعاصمة الجزائرية قبل أن يرتحل إلى تونس ليلتحق عام 1954 بجامع الزيتونة. هو يعدّ أحد المؤسسين للرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية. (انظر: . (انظر: قاموس الأدب العربي الحديث، د- حمدي السكوت، المرجع مذكور، ص300)

[2]- محمود طاهر لاشين: حواء بلا آدم، القاهرة، مطبعة الاعتماد بالقاهرة، 1934، ص47

[3]- نفس المصدرس، ص45

فشعور البطلة بالظلم والجور، كان هو الشجاعة السلبية في نظرها، وكانت على وعي تام بأن الشعور بالظلم بداية الثورة عليه، وهذا يتفق مع حسن محمود في تقديمه للرواية من أن "الشفاء الاجتماعي لم يبلغ في هذا البلد حدا يدفع إلى اليأس والتمرد، أو هو بلغ هذا الحد ولكن البركان لا يزال ساكنا"[1]

وكأن البؤس والفقر ظهر حائلا دون مواصلة تعليمها، وفق أيضا دون تحقيق السعادة العاطفية، حيث أحبت رمزي خريج الجامعة، وتعلقت به ولكنه يزف إلى سعاد الثرية ابنة طبقته. وهنا فقدت حواء همزة الوصل التي كانت تريد أن تتعلق بها لترتفع عن طبقتها، فقدت كل مبرر لاستمرار الحياة ولم يكن أمامها إلا أن تنتحر رمزا للنهاية المأساوية لحواء.

هكذا تسقط البطلة لتثبت استحالة اختراق الحاجز الطبقي، وبموت البطلة ماديا تكون قد استنفدت من الكاتب كل ما كان يبغي أن يقوله ويعبر عنه فنيا من خلال صورتها، حيث إن "الفرصة أفلتت والحب خاب والقلب شاب وهرم. إن اثنتين وثلاثين سنة قضيتها في رجولة زائفة أقامت بيني وبين الحياة مثل سور الصين، لا حول لي الآن على القفز منه حيث الجميع يمرحن".[2]

وقد نجح المؤف لا في التعبير الفني عن شخصيته الرئيسية فحسب، بل بما وفر للرواية خاصة في دلالة سكان الحي على المستوى الاجتماعي والفكري الذي تعيش فيه حواء، ولكن من المؤسف أن هذه الرواية هي العمل الروئي الوحيد في تراث المؤلف المثقف الذي جعل الرواية والقصة القصيرة مجالا لتصوير أزمات المجتمع وسلبياته.

الصورة الرمزية للمرأة في الرواية:

إن الرمز قد استخدم كأداة فنية لإثراء العمل الأدبي، وعلى قدر ذكاء الأديب في إيجاد العلاقة التي تربط الرمز بموضعه من التجربة يكون نجاحه الكامل.

[1]- محمود طاهر لاشين: حواء بلا آدم، المرجع مذكور، ص10
[2]- نفس المصدر، ص129

وإن الرواية قد استخدمت الرمز للتعبير عن فكرة أبعد مما توحي به الحكاية في الرواية، فتكشف **"عودة الروح"** (1933م) لتوفيق الحكيم (1898-1987م)[1] استغلال الرمز بأكثر من وسيلة ورواية **"يوميات نائب في الأرياف"** (1937م) للحكيم أيضا، ثم **"قنديل أم هاشم"** (1941م) ليحيى حقي (1905-1987م)[2] تحمل الحكاية في هذه الروايات رمزا لحقيقة أعمق، وترمز الشخصيات فيها إلى حقائق أبعد من وجودها كشخصيات روائية.

وإن صورة المرأة قد استخدمت في هذه الروايات الثلاث رمزا للوطن لإبراز حقيقة فكرية يراد خلعها عليه.

وقد كانت عودة الروح تطويرا للرواية، حيث أن "سنية " الشخصية النسائية العبقرية في الرواية، والكاتب يقدم سنية في الرواية على أنها فتاة برجوازية جميلة حصلت على قدر من التعليم وتقرأ بعض الروايات حاجبة في البيت، وتعزف على البيانو، وتلعب ألعابا مختلفة.

وإن الفرصة متاحة لجميع أفراد الشعب ليبرزوا عواطفهم نحوها، وهكذا تكون مصدر الحب والخلاف في آن، فكل يتصور نفسه مالكا قلبها، ويشعر بالغيرة إذا ما نافسه آخر في حبها، ولكن الجميع يفاجؤون بغاز جديد لقلبها، فتزول أسباب الغيرة والخلاف ويتوحدون من جديد، وهم في تجمعهم الجديد زال حقدهم حتى على سنية ومصطفى، حتى سليم، "نسي فيها المرأة المادية ذات الجسم المغري والثديين البرتقاليين الواقفين فهو لا يذكر منها الآن اسما معنويا لا يدل إلا على معبود يتألمون كلهم من أجله".[3]

---

[1]- رائد من رواد تأصيل الأنواع الأدبية الحديثة في الأدب العربي، لا سيما المسرحية والرواية، شق طرقا متنوعة في الكتابة المسرحية خاصة. ولد في الإسكندرية لأب من رجال القضاء، هو انتقل إلى القاهرة بعد الدراسة الابتدائية، ويكمل تعليمه الثانوي بها، وليلتحق بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة، ويتخرج فيها عام1925، ويعمل بالسلك القضائي، وفي عام 1944 ترك العمل بسلك القضاء وانتقل إلى العمل بميدان الصحافة، وللحكيم إسهامات بارزة في عدد من مجالات الثقافة المصرية الحديثة والمعاصرة. (انظر: قاموس الأدب العربي الحديث، د- حمدي السكوت، ص135-136)

[2]- أديب مصري كبير كتب اللوحة القصصية، والمقال القصصي، والقصة والرواية والدراسات النقدية، ولعب دورا كبيرا في دعم حركة الأدب والثقافة بمصر، ولد في 7 من يناير 1905 في درب الميضة بجوار سبيل أم عباس، القريب من حيّ السيدة زينب.(انظر: قاموس الأدب العربي الحديث، د- حمدي السكوت، ص611)

[3]- توفيق الحكيم: عودة الروح، مصر، مكتبة الآداب، 1993، ص191

إن الكاتب قد أبدع في رسم شخصية سنية واتكأ على إظهار الجانب الإنساني العام فيها وقدمها متحركة نامية مهذبة تظهر خصوصية الزمان والمكان اللذين عاشت فيهما.

وإذا كانت سنية كشخصية بشرية تعيش في الرواية، لم يقدم الكاتب أي رؤية سياسية لها، كأنما هي في الواقع المعبود لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، يعبده الجميع ولا يعبد أحدا.

إننا نلاحظ أن صورة المرأة التي تمثلها سنية في رواية **"عودة الروح"**، تعبر ظاهرا عن ميزات فتاة الطبقة الوسطى لعصرها من ناحية، ومن ناحية أخرى للوطن المعبود الذي ينشط الشعب ويدفعه إلى المناضلة.

نحن نلاحظ بعد هذا العرض لصورة المرأة أن قضية الحب التي شغلت بها الرواية الرومانسية كانت معبرة عن أزمة الحرية الذاتية وفساد الأوضاع الاجتماعية المنظمة لعلاقة المرأة بالرجل، فالمؤلف لم يرسل نظره بعيدا ليربط أزمتها بأزمة المجتمع كله، حيث إنه قصر رسمه لصورة المرأة ومناقشة قضاياها على ناحية.

الفصل الثاني

صورة المرأة في الرواية العربية

إن المرأة تمثل في الرواية العربية المعاصرة محورا كبيرا. وإن الرواية العربية لا تخلو منه، وذلك انطلاقا من معطيات اجتماعية وأخلاقية ودينية وسياسية، فالمرأة تكون نصف المجتمع حسب قول المتقدمين.

هنا نلقى رواية **"المصابيح الزرق"** (1986م) لحنا مينة (1924م-...)[1] ونبدأ بحنا مينة حيث إنه ينظر إلى الإنسان من خلال نضاله، وسعيه المتواصل نحوالتحرر من الأوضاع السلبية التي تحاصره، من أجل تحقيق السعادة والحياة الطيبة. وحنا مينة يشعر بمدى أهمية النضال، لأن الإنسان لا يمكن وصوله إلى حريته وكرامته في العيش إلا بالنضال عبر العلم والعمل، فهو يؤكد أيضا على المرأة التي لا يمكن تحررها إلا بالعلم والعمل.

وسوف أوضح كيف تكون التضحية شكلا نضاليا متقدما عند المرأة في عملها ووعيها السياسي.

المرأة العاملة:

إن المرأة تتفاعل في البيئة التي تعيش فيها مثل الرجل وتسعى من أجل تحسين أوضاعها المادية والفكرية، فالمرأة في نظر حنا مينة لا تكتفي بالإيمان بالغد بل تدعم إيمانها العملي.

إصرار المرأة غالبا على العمل فيه تأكيد على رغبتها في المساهمة العملية وتحملها المسؤولية، لتؤكد نفسها، ومن أجل مساعدة الرجل الذي يتكفل وحده بالمسؤولية لبقاء الأسرة التي تعيش في ظروف قاسية.

وفي رواية **"المصابيح الزرق"** أم صقر، وهي امرأة تناضل في عملها من أجل قوت نفسها وابنها، فهي تغادر البيت صباحا مبكرا لتخدم في البيوت، فنشاطها هذا يعد إيثارا تقدر

[1]- روائي وقصاص سوري ولد في مدينة الإسكندرونة، كانت حياته حافلة بتجارب عميقة وغير عادية.(انظر: قاموس الأدب العربي الحديث، د- حمدي السكوت، المرجع مذكور، ص189)

عليه الأم المناضلة، فهي رغم شكلها المتهدم لا تستسلم للسكون والقرار، بل تكافح لبقاء استمراريتها في الحياة. فأم صقر: "شكلها العام كان ينطوي على فاجعة حقيقية، هيكل متهدم عينان مرمدتان ترشح حدقتاهما بالدمع، فيظل الجفنان في حالة جريان دائمة".[1] فهذه صورة المرأة المناضلة التي تكافح من أجل بقاء استمرار الحياة.

هكذا قد تحدث حنا مينة في روايته "الثلج يأتي من النافذة" (1985م) عن شخصية أم بشير، هي امرأة تعبر عن اقتحامها للحياة متحدية جميع الظروف القاسية، وهي من أكثر الشخصيات النسائية التي تعي أهمية العمل والنضال السياسي، وتعتز بقدرتها على العمل الذي يؤمن الحياة لها ولغيرها، وهي تعلن تمردها على الحياة: "الحياة لا تقتل إلا الذي يخافها، وأنا بحمد الله، لا أخاف الحياة...أنا امرأة ورجل..... ربيت أولادي وزوجتهم، ربيت نفسي وعملت الخير واشتركت في المظاهرة".[2]

فيبدو لنا أم بشير من خلال هذا النص أنها تقبل على الحياة باندفاع شديد، وتنطلق في نضالها المستمر.

فإن المؤلف يؤكد أهمية نضال الإنسان بالعمل، وهذا ظاهر من شخصية أم بشير، كما لاحظنا فهي امرأة فاعلة في عملها ونضالها السياسي، وهذا يكمن في قدرتها على العمل واكتسابها للوعي السياسي.

وحينما كان العمل يحمل أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية تعود بالنفع الكثير على الفرد والجماعة في حالة السلم، فإن الحاجة لعمل المرأة بالغة الأهمية في وقت الحرب.

هكذا قد تحدث حنا مينة في روايته **"المرصد"** (1983م) عن شخصية رباب، وهي من أهم الشخصيات النسائية في الرواية وأكثرها وجودا أهمية عمل المرأة باعتباره شكلا نضاليا يسهم في تحقيق التغلب.

---

[1]- حنا مينة: المصابيح الزرق، بيروت، الآداب، 1986، ص31

[2]- حنا مينة: الثلج يأتي من النافذة، بيروت، الآداب، ط5، 1985، ص117

وحنا مينة وهو يبحث عن رسم داخلي لرباب استطاع أن يلامس في شخصيتها عناصر"....وبذور الكفاح والمقاومة"،[1] فيها رباب تمتلك رغبة قوية وإصرارا كبيرا على العمل لأنها تؤمن بأهمية العمل في عالم المرأة نفسيا واجتماعيا يصل إلى حد النضال.

وأثناء محاولة تقديمها المساعدة للجندي الجريح تطلب منه أن يستند إليها: "حدق فيها الجريح ولم يفعل...كان عملاقا، وكانت رقيقة لطيفة، فحاول أن يسير دون مساعدتها لكنها رفعت يده ووضعتها على كتفها: أنا قوية بما يكفي، استند عليّ، وسارت به إلى السرير، شاعرة بغبطة داخلية عميقة لأنها بدأت تؤدي عملا نافعا".[2]

فنجاح رباب في عملها التطوعي يؤكد قدرة المرأة على ممارسة العديد من الأنشطة، خارج البيت من جهة، ويؤكد شعورها بأهمية عملها في مرحلة دقيقة يحتاج فيها المجتمع إلى كل عنصر حتى يصل إلى الانتصار من جهة أخرى.

وبالنسبة للمرأة الأم، إن حنا مينة يركز على معاناتها، ويرجع هذا إلى تأثره بتفصيلات الحياة التي عاشها، فهو ما استطاع أن يمحو من ذاكرته صورة أمه وهي تناضل في صلاح الأسرة. فشخصية المرأة الأم عند حنا مينة شخصية قوية، مناضلة، تتحول إلى لبؤة تدافع عن أولادها عند تعرضهم أي خطر، وتضحي بكل فرحها من أجل سرورهم.

لذلك نجد هنا سببين يثيران المرأة على النضال والتضحية هما:

السبب الأول: التعبير عن حماية المرأة لأطفالها.

السبب الثاني: دفع المرأة لتأكيد حضورها الإنساني والاجتماعي.

[1]- محمد دكروب: شخصيات وأدوار في الثقافة العربية الحديثة، ط1، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1987، ص91
[2]- حنا مينة: المرصد، ط2، بيروت، دار الآداب، 1983، ص306

ومن خلال ذلك نلاحظ أن حنا مينة في طرحه لصورة المرأة التي تناضل من خلال خروجها للعمل أو التي تكافح في سبيل أسرتها إلى حد التضحية، أراد وضع صورة طبيعية لها تنفي عنها عجزا يكمن في الثقافة الاجتماعية.

المرأة والوعي السياسي:

لا يقصد حنا مينة إلى رسم صورة المرأة وهي تناضل سياسيا ووعيا كاملا، لأنه لا يستطيع فرض نماذج عديدة من النساء اللواتي يقبلن على العمل السياسي من جهة ولا يستطيع من جهة أخرى رسم دور المرأة المنخرطة بما يتعدى دائرة وعيها سياسيا.

ويظهر وعي المرأة السياسي في رواية **"المرصد"** (1983م) حيث تظهر شخصية رباب كأهم امرأة يظهر في شخصيتها الوعي السياسي معززا بروح وطنية خالصة، فهي من خلال حوارها الهادئ مع زوجها حول هزيمة 1967م تبحث عن المعرفة التي تشكل هنا أساس الوعي السياسي: "وكانت رباب تسأله: ماذا نفعل إذن؟ ويجيبها: علينا أن نفتح عيوننا جيدا، أن نرى كل شيء في ضوء جديد، أن ندع الغرور، ونعرف من نحن، ومن هو عدونا....".[1]

فإن البحث في أسباب الهزيمة يعد سبيلا للمعرفة التي تؤدي إلى الوعي، ويتأكد وعي رباب السياسي في اندلاع حرب 1973م من خلال التفاؤل والإيمان.

فهي حينما تسمع بخبر تحرير **"مرصد جبل الشيخ"** تصدق الخبر لأن زوجها في المعركة موجود. وتعبر عن انتمائها بعدما سمعت خبر التحرير بأنها: "أنزلت الصورة عن الجدار وقبلتها، احتضنتها بحنان وشوق وفرحة غامرة، ما كانت تعرف أن زوجها أنزل العلم بيده عن السارية، غير أنها كانت واثقة بأنه قام بكثرة، وأنه قاتل بشجاعة وأن ذلك يليق به هو

[1]- حنا مينة: المرصد، المرجع مذكور، ص107-108

الذي بكى إثر هزيمة حزيران، الآن انتقم لنفسه، لشعبه، وأصبح حرا أن ينظر في المرآة، وأن يحبها من كل قلبه، وألا يخجل من شيء في الوجود".[1]

فهذه الرواية تشير إلى دور العلم والعمل والتجربة في نضج المرأة السياسي ووعيها انسجاما مع المرحلة الزمنية التي أصبح فيها بقدر الإمكان فتح المدارس والكليات والجامعات، وأيضا أن تعمل المرأة تأكيدا لحضورها الاجتماعي بما يوسع مداركها ويكسبها خبرات متعددة مثل الوعي السياسي، فرباب: "ولدت في دمشق...ثم ذهبت إلى المدرسة... وتابعت دراستها الإعدادية والثانوية، ثم انتسبت إلى الجامعة، واعتبرت ذلك جرأة كبيرة، وتحديا شجاعا لفروع العائلة التي ما تزال تسكن حي العمارة".[2]

كما يوضح المؤلف أثر المكان في تحرير الإنسان، حيث إن الأماكن الشعبية أقل حظا من غيرها تحررا، ومحتاجة إلى وقت طويل من أجل التحرر والتقدم والنهو ض. ويتحمس المؤلف للتقدم الذي وصلت إليه المرأة من خلال الإمكانات الجديدة ويعلن عن سعادته للغاية:

"وإنها لتضحك الآن من ذلك التحدي كله حين ترى إلى الطالبات في لباس الفتوة، الصبايا في التنانير القصيرة صيفا، والبنطلونات شتاء، تقول في نفسها: المرأة حققت تقدما كبيرا. خرجت من الحريم وانطلقت في مجالات العلم والعمل، وقد عملت هي في التعليم بعد تخرجها من كلية الآداب".[3]

هنا حنا مينة يؤكد على خروج المرأة ضرورة إلى واقع التجربة في الحياة لتحقيق حقها في التعليم والعمل، لكي تكون متساوية مع الرجل وتشترك معه في النضال.

هكذا أراد حنا مينة في روايته **"الرحيل عند الغروب"** (1992م) أن يكشف عن عشق المرأة بشكل عام لسجايا الرجل أكثر من عشقها لفحولته. وكأنه يريد أن يلصق بالمرأة فعل القوة من الداخل أكثر من الرجل.

---

[1]- حنا مينة: المرصد، المرجع مذكور، ص114
[2]- نفس المصدر، ص116-117
[3]- نفس المصدر، ص117

حيث يظهر موقف سلافة محبوبة فاطر اللجاوي بطل الرواية خلال اعتقاله على أنه نوع من النضال، وهو نضال يعكس ثقافة سلافة ووعيها السياسي من خلال تماسكها وبث القوة في نفس اللجاوي بمداراتها دموعها أثناء انفعالها، وهذا دليل على مدى حبها له ووقوفها إلى جانبه وارتباطها به خلال الموقف: "....وأما سلافة التي أنقذتها من الموت انتحارا قد بعثت في ذاتي امرأة أخرى، أحلى وأبهى، وأشد تماسكا وهي تشهد دون وجل، وضع القيد في يدي، رغم قسوتي عليها وأنا أقول لها: كوني لجاسم! إنه يريدك، وهي تبكي وتقول: سامحك الله، ثم تدير وجهها كي لا أرى دموعها".[1]

ويركز المؤلف على هذه المسألة في ارتباطها بالمرأة ليؤكد نبلها الداخلي، ويؤكد أيضا حضورها النضالي.

"قالت: أنا أحبك أنت ريسي ومنفذي!

لكني يا سلافة لست ريسا، ولم أنل هذا الشرف يوما.

الرياسة سجايا، أنت ريس بسجاياك، كما قال عناتر".[2]

فإن هذا الحوار يبرز عجز النظرة الرجولية إلى عالم المرأة من خلال نفيه لمعاني الإنسانية في داخلها. فيريد المؤلف من خلال إلقاء الضوء على المرأة المناضلة، من خلال العمل اليومي أو من خلال نضلها السياسي المحدود، أن ينبه إلى أهمية إعادة النظر في فلسفة المجتمع تجاه المرأة، لينظر حجم القدرات في عالمها.

وأما بالنسبة لعبد الرحمن منيف (1933- 2004م)[3] فإنه قد تحدث في روايته **"الديمقراطية أولا...الديمقراطية دائما"** (1995م) عن المرأة لا تزال في مجتمعنا "كمّا مهملا

---

[1]- حنا مينة: الرحيل عند الغروب، بيروت، دار الآداب، 1992، ص121-122

[2]- نفس المصدر،ص293

[3]- روائي سعودي ، ولد في عمّان، لأب سعودي وأم عراقية. أنهى رداسته الثانوية في العاصمة الأردنية، ثم التحق بكلية الحقوق في بغداد عام 1952، ثم تابع دراسته العليا منذ عام 1958في جامعة بلغراد، وحصل منها عام 1961 على درجة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية.ثم انتقل من سورية عام 1973 إلى بيروت، حيث عمل في الصحافة اللبنانية، وبدا الكتابة الروائية بعمله الشهير"الأشجار وغتيال مرزوق" (انظر: قاموس الأدب العربي الحديث، د- حمدي السكوت، المرجع مذكور، ص329)

لا تشارك في الحياة العامة إلا في أضيق الحدود. إضافة إلى تفشي الأمية بين النساء وعدم مساواتها بالرجل".[1]

فمكان المرأة في المجتمع العربي موقع دوني، والنظرة إليها نظرة غير سليمة، نابعة من موقف مسبق يستضعفها ويقلل من قدراتها بشكل عام. وقد تعاملت الرواية العربية منذ نشأتها تقريبا مع المرأة من زوايا متعددة.

مثلا، صور "نجيب محفوظ" (1911-2006م)[2] و"فتحي غانم" (1924-1999م)[3] و"الطيب الصالح" (1929م-...)[4] في رواياتهم **بداية ونهاية وزينب والعرش وموسم الهجرة إلى الشمال.**

وكانت المرأة في روايات منيف بدءا ب**"الأشجار واغتيال مرزوق"** (1971م) وانتهاء ب**"بادية الظلمات"** (1991م) وهي الجزء الخامس من روايته الكبيرة **"مدن الملح"** هي الأم، وهي الأخت، وهي الابنة، ضمن حدود البيت العربي، فلم تخرج المرأة العربية من بيتها في روايات منيف، ولم تمارس الحب والجنس، ففي رواية **"الأشجار واغتيال مرزوق"** تحتل المرأة مساحة لا بأس بها من تفكير بطلي الرواية إلياس نخلة ومنصور عبد السلام، فكل منهما كان له معاناته الخاصة مع المرأة.

ومن جهة أخرى فإن المرأة في هذه الرواية كانت تتأرجح بين الواقع والرمز، فمن ناحية واقعية تكون المرأة باقية في هذه الرواية تمثل صورة، إنها تمثل الطمأنينة للرجل.

---

[1]- عبد الرحمن منيف: الديمقراطية أولا...الديمقراطية دائما، ط3، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، 1995، ص209-210

[2]- روائي مصري كبير، يعد في رأي معظم النقاد أعظم الروائيين العرب، ولد في 1911/12/11 في حي الجمالية بالقاهرة في أسرة متوسطة الالحال، هو كتب 36 رواية، 15 مجموعة قصصية، ومقالات وحوارات كثيرة، وحصل على كثير من الجوائز. (انظر: قاموس الأدب العربي الحديث، د- حمدي السكوت، المرجع مذكور، ص592-593)

[3]- روائي وقاص وكاتب صحفي مصري، ولد بالفاهرة في 24م مارس، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية بمدارسها ثم التحق بكلية الحقوق جامعة القاهرة، ونال درجة الليسانس منها عام 1944. عمل مفتشا بإدارة التحقيقات، ثم بالنيابة الإدارية بوزارة المعارف المصرية، (انظر: نفس المصدر، ص407)

[4]- روائي وقاص سوداني كبير، ولد في مركز مروى بالسودان، تلقى تعليمه في وادي سيدنا، وفي كلية العلوم بالخرطوم. مارس التدريس، ثم عمل في الإذاعة البريطانية بلندن. نال شهادة في الشؤون الدولية بإنجلترا. عمل مديرا عاما لوزارة الإعلام والثقافة في دولة قطر. نال شهرة في مجال الأدب. (انظر: نفس المرجع، ص407)

كما تحدث عنها عبد الرحمن منيف في روايته **"الأشجار واغتيال مرزوق"** بلسان بطل الرواية، إلياس نخلة يقول: "الحياة هي المرأة، ولا يمكن للرجل أن ينسى المرأة إلا وهو يغادر هذه الحياة"[1]

فإن المرأة حاضرة أبدا في كل تحول من تحولات إلياس نخلة، فإلياس نخلة ينتقل من عمل إلى آخر، ويتحول من حال إلى حال، وهو في تحولاته الحياتية، ويتحول أيضا من امرأة إلى أخرى، فالمرأة في حياته تعتبر عاملا مساعدا على تخطي الصعاب.

فإن هذه المرأة واقعية، ولكنها من ناحية أخرى تعتبر رمزا من الرموز، فالمرأة تبدأ بالصعود من الواقع إلى الرمز، تبدأ من كونها اختبارا صعبا للرجل على مواجهة الحياة مواجهة صحيحة، وتنتهي إلى أن تتحول إلى رمز، حين يوحد عبد الرحمن منيف بينها وبين الأشجار على لسان إلياس نخلة.

ويقول بطل الرواية إلياس نخلة: "أنا لا أفهم أشياء كثيرة في هذه الحياة، ومع ذلك تبدو لي أقل غموضا من المرأة! إن النساء والأشجار لهن طبيعة واحدة".[2]

فكأن الأشجار تمثل رمز التقدم والثبات والعطاء الذي لا حدود له، فإن المرأة تمثل كذلك رمز السعادة، ورمز المرأة، الحياة هو رمز اجتماعي في إطاره العام.

وإذا تحولنا إلى رواية أخرى من رواياته وهي **"قصة حب مجوسية"** نلاحظ أن المرأة تمثل شخصية رئيسية في هذه الرواية بالذات، ونلمس ذلك من خلال موضوع هذه الرواية.

فنساء هذه الرواية: ليليان، ميرا، باولا، وكلهن نساء أجنبيات، لا يقمن بأي دور حياتي من خلال الرواية غير ممارسة الجنس، وهذا ما أراده المؤلف لهن حيث إن منيف ما خرج عن طوره في إبقاء نسائه سجينات، إما داخل واجباتهن الزوجية، أو داخل شهوات الرجال

[1]- عبد الرحمن منيف: الأشجار واغتيال مرزوق، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1971، ص104
[2]- نفس المصدر، ص75

الجنسية، وهذه النظرة للمرأة لم تكن قاصرة على المرأة العربية فحسب، وذلك واضح من خلال نساء هذه الرواية.

أما في روايته الأخرى، **"شرق المتوسط"** (1999م) فللمرأة أهميتان اجتماعيتان: فهي الخير والشر داخل أسوار بيتها، وليس من خلال ممارستها العملية في الحياة العامة، فهي مرة أخرى الأم، والابنة، والزوجة.

فإن المرأة حين تكون رمزا للشر واللعنة. عندما تكون عائقا في وجه طموحات الرجل. فها هي أنسية أخت بطل الرواية رجب تكون سببا في سقوط أخيها المناضل. فدموعها هي التي تضطره للركوع، يقول بطل الرواية رجب: "لولم تكوني أختي يا أنيسة وأنت يا هدى لوكنت امرأة أخرى.... لوأن ذلك حصل لما سقطت.... ويضيف البكاء أكبر الرجال، وأقسى ضربة توجه للرجل أن يرى أمه أو أخته تبكي أمامه".[1]

ويذهب منيف بأنيسة إلى الاعتراف بأنها كانت الأخت الحنونة المخلصة ولكنها الشريرة في ذلك الوقت، وشرها هناك يتمثل بأنها كانت تبكي أخاها، إذا نلاحظ أن المسألة ظاهرة، فالمرأة هي الخير والشر من خلال دورها التقليدي الحياتي كأم وأخت وزوجة.

أما بنسبة نظرته إلى وضع المرأة العربية، فقد لاحظت من خلال رواياته، أنه وضع يده على الرفض الاجتماعي للمرأة وعدم الرغبة في إنجاب البنات. ويجسد هذا الموقف السلطان نفسه في **"مدن الملح"**: إذا بشرته القابلة بغلام فلها "كسوة وحشوة وقريشات.....، الكسوة ثياب والحشوة ذبيحتان أو ثلاث، والقريشات خمس مجيديات أو ليرة ذهبية عصملية، أما إذا كان المولود بنتا فإنها في أغلب الأحيان تتوارى. وإذا سئلت لا تجيب"[2]

[1]- عبد الرحمن منيف: شرق المتوسط، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1999، ص63
[2]- عبد الرحمن منيف: بادية الظلمات، بيروت، المؤسسة العربية،ط1، 1991، ص409

فمن خلال روايات عبد الرحمن منيف، لاحظت أن هناك أمرا دؤوبا على إظهار هذه النطرة الخاطئة التي يتمسك بها المجتمع إلى المرأة، لكنه ليس بمستطاع إلغائها، أو صنع ثورة لقلب المقاييس الخاصة بالمرأة، فهو يقدم مكان المرأة في المجتمع العربي بصدق وأمانة.

الفصل الثالث

صورة أوضاع المرأة الاجتماعية

إذا ألقينا النظر على أوضاع المرأة في الروايات، فقد جرى معظمها نحو الأوضاع النسائية، ووجدنا بعض المثقفين خلال النهضة الحديثة على سبيل المثال، قاسم أمين(1863-1908م)[1] ومحمد عبده (1849-1905م)[2] ورفاعة رافع الطهطاوي (1801-1873م)[3] وأمين يوسف غراب (1912-1970م)[4] وحنا مينة (1924م-) والطيب الصالح (1929م-) ونجيب محفوظ (1911-2006م)[5] وغيرهم الكثيرين، فعندهم تقريبا أوضاع المرأة المتماثلة التي ألقي الضوء عليها، ظهرت بكل شدة خلال النصف الأول من القرن العشرين منها: الاستقلال العاطفي والحرية الذاتية للمرأة، والحب بين الرجل والمرأة، وزواج الفتاة بالإكراه بدون خيارها فيه، وتصرفات الأب في أمورها، وتعليم المرأة وتثقيفها، وحرمانها عن العمل في خارج البيت، واعتبارها كأداة للحفاظ عليها واعتقادها كسلعة للبيع والشراء، والحجاب غير الشرعي، وقضية العاهرات، والطلاق لأسباب تافهة، وحرمانها عن الثروة الاقتصادية، واستسلام المرأة في معظم الأحيان، والخيانة بين الزوجين خاصة خيانة المرأة، وقضية الفقر والتفاوت الطبقي فيما يتعلق بالمرأة، وفساد الأخلاق وغيرها من مختلف الأوضاع النسائية.

رواية **"زينب"** (1913م) لمحمد حسين هيكل(1888-1956م)، هي أول رواية تمثل هذا الاتجاه، حرية المرأة واستقلالها العاطفي وقضية المرأة الباحثة عن الحب الذي يصور أزمتها في البحث عن الحرية الذاتية وتحقيق الوجود الفردي. وإن المؤلف يستعين في تقديم قضية الحب بالشخصية النامية **"زينب"**، هي ناضجة عاطفيا بقدر نضجها الاجتماعي.

---

[1]- رائد الدعوة الحقيقية لتحرير المرأة، وإصلاحي مصري شهير، ولد بمدينة الإسكندرية فيأو ل ديسمبر عام 1963 لأب تركي وأم من صعيد مصر، أعطي قاسم أمين قضية المرأة جزءا كبيرا من برنامجه الإصلاحي وأصدر كتابه "تحرير المرأة" عام 1899وهو أشهر كتاب عربي صدر في عصره. (انظر: نفس المصدر، ص422)

[2]- ولد المفكر الإسلامي والمصلح الاجتماعي ورائد الثقافة والتربية والتنوير، بقرية محلة نصر مركز شبراخيت محافظة البحيرة. (انظر: نفس المصدر ، ص505)

[3]-أو ل رائد من رواد التنوير والتحديث في مصر والعالم العربي في الفرن التاسع عشر، من خلال الترجمة والصحافة وإنشاء المؤسسات التعليمية وبخاصة مدرسة الألسن والجمعيات العلمية، وتحقيق التراث، ودعاوي الإصلاح لأوضاع المرأة، وبناء جسور اتصال مع الحضارة الأوروبية المعاصرة. (انظر: نفس المصدر ، ص215)

[4]- روائي وقاص ومسرحي مصري، ولد في قرية محلة مالك مركز دسوق من أعمال مديرية الفؤادية، في يوم 31 مارس عام 1912. عمل في وظيفة كاتب في مطابع السكة الحديد ثم سكرتيرا لوكيل مصلحة السكة الحديد عام 1951. حتى انتقل إلى القاهرة عام 1956 وأصبح مديرا للعلاقات العامة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. (انظر: نفس المصدر ، ص105)

[5]- روائي مصري كبير، يعد في رأي معظم النقاد أعظم الروائيين العرب، ولد في 1011/12/11 في حي الجمالية بالقاهرة في اسرة متوسطة الحال. (انظر: نفس المصدر ، ص592)

و"زينب" هي لم تكن كأية فتاة قروية فقيرة يشغلها البؤس ويطحنها الفقر، وهي كما أوضح المؤلف الباحثة عن الحرية، وعن تحقيق الوجود والسعادة بطريق الحب والفوز بالحبيب في إطار طبقتها الاجتماعية، ولكن الأقدار ليست ملائمة لها إذ تخطب لغير من أحبته، يرحل الحبيب إلى السودان. وإن هذه الصورة التقليدية للزواج توحي بأن الإنسان ما دام عبدا "ها هو الأب قد تصرف في يد ابنته برأيه. وباعها مساواة، بقي أن تجيز هي عمل شخص أعطته الطبيعة من السلطان أنه أبوها، فهل الفتاة تقدر من بعد ذلك على رد ما عمل"[1]

وإن زينب تساق إلى بيت زوجها كشاة ضالة، وهناك يتصارع في زينب عاملان:

(1) الوفاء للحبيب. (2) الإخلاص للزوج.

حيث يشتعل في نفسها النزاع بين العقل والقلب، بين العاطفة والواجب. وازدادت آلامها وبدأ حزن العزلة بينها وبين المجتمع.

"وإذا خلا بها حسن وجعل يخاطبها بما يخاطب به الشاب الفتاة أو الزوج زوجته، وجدت كلاما ذابلا باهتا، وجدته كلاما مصنوعا يجيء به موقفها ولاتوحي به القلوب أو تدفع إليه الإحساسات الهائجة التي تريد أن تظهر ولا يمكن حبسها، ولكنها مضطرة إلى أن تجيب على القول بمثله وترد عن كل ما تسأل بما حفظته من الناس، غير أنها شعرت أن موقفها كهذا لا ينتج إلا الشقاء والبؤس".[2]

وإن شخصية زينب تنمو بنموالأحداث في الرواية، وترى مع كل موقف جديد بعدا من أبعاد شخصيتها ولكن كثافة الأحزان أيضا تكثر معها. وبطلة الرواية تدور أساسا حول البحث عن السعادة العاطفية وطلب الحرية الذاتية للمرأة بما يكفل حسن الاستمتاع بالوجود، وبما يكفل من ضمان لسعادة المجتمع، حتى أن تموت زينب بالسل، وهي مدركة لمحور أزمتها بوعي تام، لذلك توصي أمها بعدم إجبار أخواتها على الزواج بالوصية الآتية: "بدي أموت قريب

[1]- محمد حسين هيكل: زينب، المرجع مذكور، ص105
[2]- نفس المصدر، ص131

وكله من إيدكو. فضلت أعيط وأقول لك يا أمه ما بديش أجوز، تقولي كل الناس أبوهم بيجوزهم على غير كيفهم، وبعدين يصحبوا ويا جيزانهم زي العسل، أنى ياجوزي زي العسل ما قلتش حاجة. لكن أديني حاموت وتخلص العيشة اللي بيننا وبين بعض....وبكره ولا بعده حاموت يامة، وصيتكوا أخواتي لما تيجوا تجوزوا حد منهم ما تجوز همش غصب عنهم لحسن دا حرام".[1]

وبناء على هذا فإن زينب في هذه الرواية تستقطب هذه القضية الاجتماعية. وقد وعى هيكل بحاسته المرهفة أهمية الطبيعة للشخصية الرومانسية، ومن هنا جمع في الرواية كثيرا من مناظرها: "أين أنت يا قمر السماء من جمال زينب ولم أعرك لفتة وهي إلى جانبي؟ إن في تلك النظرات التي تبعث هي بها إليك لسحر الشباب الذي فقدته أنت من قرون القرون، وتلك الابتسامة السعيدة التي تطوق ثغرها تهزأ بخطوط المشيب البادية على وجهك".[2]

فإن الأزمة واحدة عند زينب وإبراهيم، وعزيزة وحامد، يبلورها فقدان السعادة العاطفية نتيجة لاستلاب حرية الفرد والخضوع لضرورة التقاليد وفساد التربية فانقلب العيش شقاء ومرارة. لذلك يصرخ حامد: "العائلة! لوتحقق معناها للمسنا السعادة بأيدينا ورتعنا في سعة منها كل أيامنا....ولكن وا أسفا فأنى هي.....؟".[3]

وأيضا في هذه الرواية أزمة الحب كما تعبر عن قضية الحرية الذاتية والظلم الاجتماعي اللذين يسلبان المرأة سعادتها.

رواية **"ثريا"** (1922م) لعيسى عبيد (؟-1922م)[4]

---

[1]- محمد حسين هيكل: زينب، المرجع مذكور، ص239

[2]- نفس المصدر ، ص101

[3]- نفس المصدر ، ص125

[4]- قاص شامي ومنظر للقصة الواقعية، لا يعرف تاريخ ميلاده لكنه بدأ النشر عام 1920 بفص من قصته "مذكرات حكمت هانم" بصحيفة "السفور" ثم أصدرأو لى مجموعتيه القصصيتين، "إحسان هانم" عام1921، و"يريا" عام1022 وهو العام الذي توفي فيه.(انظر: قاموس الأدب العربي الحديث، المرجع مذكور، ص395)

إن أول رواية كتبت في مصر بعد **"زينب"**، هي **"ثريا"**، تدور هذه الرواية حول فتاة مسيحية شامية الأصل، وهي من أسرة بائسة تسكن في الإسكندرية، وبرغم بؤس الأسرة قد استطاعت الفتاة أن تحصل على قسط من التعليم في المدارس الفرنسية، كما حرصت إلى حياة أسرية أوفر غنى وأعظم رخاء من حياة ذويها، وهي اعتقدت أن أسهل طريق على ذلك، هو طريق الزواج من ثري.

إن البطلة ثريا كانت لها عمة تسكن في القاهرة وتعمل خياطة لقوت عيشها، فهي قد فشلت في حياتها الزوجية، بعد أن زوجت من سكير فاسد، وكان يسكن عند عمتها شاب مسيحي يتيم بائس، على حظ قليل من الثقافة، فإن الظروف القاسية ما مكنته من إتمام الدراسة، وأجبرته على خيار مهنة التجارة وكان إلى ذلك خجولا منطويا قليل الاختلاط، قليل الخبرات الاجتماعية وخاصة في مسائل المرأة والحب.

وإن البطل "وديع نعوم" رأى مرة صورة الفتاة في بيت عمتها، فهام بها، ومضت العمة في محاولة إيقاع الشاب الوسيم في حبائل ثريا ابنة أخيها، رجاء أن يتزوجها، فتريح به زوجا جميلا مستقيما، وتتجنب التجربة الصارمة التي منيت بها العمة في زواجها من سكير فاسد منحرف، لهذا استدعت العمة الفتاة لزيارتها، واستضافت الفتى وحققت لقاء بينهما، ولكن ثريا أبرزت نفرتها منه وإعراضها عن ذلك الشاب. وقد انتهى الأمر حينما أخبرت عمتها بعدم رغبتها في الزواج به، لأنه لن يكون زواج المصلحة الذي عقدت التصميم عليه، وسافرت إلى الإسكندرية.

أما هو فعوضا عن أن يثور على الفتاة التي رغبت عنه، ازداد هيامه بها وانجذابه إليها وتعليقه للأمل عليها، فارتحل إلى الإسكندرية رجاء أن يلقاها لإقناعها. وبعد البحث الطويل عنها، وجدها مفاجأة في الطريق، وأبرز رغبته فيها، ورجاها أن تغير رأيها في الزواج به ولكنها أصرت على الرغبة عنه، وفي النهاية تزوجت ثريا من أحمد بك بعد أن قبلت الإسلام،

وكان كل هذا برغم أنف والدها، مما سبب له مرضا أودى بحياته، فغادر الدنيا نحو أن يسمح لها حتى بزيارته.

وإن الكاتب في هذه الرواية قد جعل البطل عاملا، ثم تعاطف معه بعض الشيء، ودافع عنه وعن أمثاله بعض الدفاع ومن ذلك يقول على لسان البطلة، وهي تعتذر لعمتها عن الزواج من البطل: "إني أعرف حياة هؤلاء الأشقياء، لا أريد أن أعيش عيشة الفاقة والجوع".[1] وأيضا يقول على لسان العمة، وهي توجه الخطاب إلى البطلة: "أ في المدرسة تعلمت أن تحتقري وسطنا وتثوري ضد نظام حياتنا"[2]

في هذه الرواية عيسى عبيد قد تناول قضايا المرأة المصرية خاصة والمرأة العربية عامة، وأشار إلي قضايا المرأة وأزماتها التي يواجهها المجتمع المصري والعربي، وأنه كان متأثرا بالنساء المثقفات كما أشار إليها في مقدمة ثريا، "ولا يسعنا قبل الختام إلا إسداء شكرنا لحضرات الأوانس والسيدات الفاضلات اللواتي شجعننا برقيق عباراتهن وعذوبة رسائلهن، فإن هذه العبارات الطلية الجميلة ملأت نفسنا قوة وإيمانا، وقضت على اليأس الذي يخامرنا من إعراض الجمهور، فلأجلكن يا سيداتي أقدمنا على جمع هذه الشذرات الإنسانية وقطع الحياة الدامية المتناثرة، وكل أملنا وغايتنا أن تهز فيكن عامل الرحمة على من يوقعه القضاء تحت سلطتكن المستديرة الغشومة".[3]

فإن كاتب الرواية **"ثريا"** قد توجه نحو إصلاح المجتمع المصري والشعوب العربية واسترعى انتباه الناس إلى مسائل المرأة وأزماتها حيث قال الكاتب عن البطل: "كان حبه تلك العاطفة الهادئة البريئة العميقة، التي يشوبها دائما حزن سوداوي، يولد في المخيلة فكرة

[1]- عيسى عبيد: ثريا، مكتبة ومطبعة الوفد،1922، ص43
[2]- نفس المرجع، ص43
[3]- نفس المرجع ص7-8 من مقدمة ثريا.

مرضية مؤلمة، شبيهة بالفكرة الثابتة، يخضع لها المجموع العصبي، ويترتب عنها داء النور ستانيا والسوداء".[1]

ثلاثية المازني النسائية:

بعدما ترك إبراهيم عبد القادر المازني (1890-1949م) الشعر وانتقل إلى الرواية نجد له ثلاث روايات وهي: **"إبراهيم الكاتب"** (1931م) و**"إبراهيم الثاني"** (1943م) و**"ثلاثة رجال وامرأة"** (1944م) وهي تدور حول عدد من النماذج النسائية المتفاوتة اجتماعيا وفكريا. وانبهار الكاتب بالمرأة يشكل جانبين:

(1) تناقضه في الحديث عن المرأة فهي مرة "أداة لحفظ النوع وجمالها شرك".[2] ثم هي "لا تفهم الدنيا باعتبارها كلا، ولا تقدر أن تفنى في الجماعة".[3] وأمام هذا الاضطراب والحيرة لا يجد أي مفر من الاعتراف بأن "هؤلاء النساء أمر عجيب والذي يستطيع أن يعرفهن على حقيقتهن لم يخلق بعد".[4]

(2) إصراره على أن الإنسان لا يفرح بالحياة إلا في ظلال حبيبة "مشرقة مثل الصباح، جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس، مرهبة كجيش بألويه".[5]

من هنا تظهر أزمة المؤلف بين حب للغاية للمرأة ثم حيرة شديدة في أمرها، وقلق لما ينبغي أن يكون عليه وضعها في المجتمع، لذلك ثلاثية المازني تكون زاخرة بأنماط كثيرة من النساء بدرجة تكاد تصبح معها مسحا اجتماعيا لنماذج المرأة وقضاياها خلال الفترة التي ظهرت فيها، فبينما تعالج "إبرايهم الكاتب" قضية الحب والزواج، نلاحظ رواية "إبراهيم الثاني" تدور حول الملل في الحياة الزوجية، ثم "ثلاثة رجال وامرأة" خطوة أكثر جرأة حيث

---

[1]- نفس المرجع ، ص67
[2]- إبراهيم عبد القادر المازني: إبراهيم الكاتب، مكتبة مصر ، القاهرة، 1998، ص34
[3]- نفس المرجع ، ص68
[4]- إبراهيم عبد القادر المازني: إبراهيم الثاني، المرجع مذكور، ص163
[5]- إبراهيم عبد القادر المازني: إبراهيم الكاتب، ص152

تعبر عن قضية الفتاة الناضجة التي لم يعد الزواج عندها وسيلة للإشباع الجنسي، بل للاطمئنان النفسي والفرح العاطفي.

"إبراهيم الكاتب" (1931م)

في هذه الرواية سمة موضوعية وفنية إذا تصور أن شخصية رجل برجوازي يبعث على السعادة العاطفية الضائعة. في الرواية "شوشو" ابنة خالته التي حصلت على قسط من التعليم في مدرسة فرنسية وقرأت بعض الروايات، وشقيقتها الكبرى "نجية" تنكر زواجها بمن تحب، لأنه لا يصح زواج الصغرى قبل الكبرى، لذلك تعتبر حب شوشولإبراهيم قلة أدب وتسخط على المدارس التي تدرّس الفتيات هذا الكلام الفارغ من الحب قبل الوقت.

ونجد ليلى فتاة برجوازية يتيمة، عبث الوصي بمالها وعفافها، وهي مصرية في ملابس إفرنجية، إشارة إلى ما أصابت من تحرر وانطلاق. فشوشو إذن فتاة تخنقها التقاليد، وليلى قد قذرها التحرر، من هنا نشأت أزمة البطل البرجوازي الرومانسي. إذ يعجز عن أن يحطم التقاليد ويحرر من أحب حتى ينجح بها، وفي الوقت نفسه ينكر قبول المتحررة اجتماعيا، لذلك ليس عربيا خلف هذا أن تسخر شوشو مستقطبة أزمة العصر في الذات، بعد عجزها عن تحطيم التقاليد وتحقيق حريتها المستلبة: "لماذا خلقها الله في مصر؟ لماذا يضرب عليها هذا الشقاء؟ حتى إبراهيم لا يسعها أن تذهب إليه وتقول له: إني أحبك. كلا هذا أيضا مستحيل، لأن التقاليد والآداب تأبى ذلك، وإنها لواثقة الآن أن إبراهيم يحبها وأنه يتمنى لواستطاع أن يعلن إليها حبه ولكنه مثلها تقيد لسانه التقاليد والآداب".[1]

وبينما تتورط شوشو في أسيرة لشراسة التقاليد التي لا تؤمن بحرية المرأة ولا بشرعية الحب، لا تفوز ليلى بعطف البطل، لأنها في رأيه: "لم تحرك الجانب الشرقي من نفسي وإنما

[1]- إبراهيم عبد القادر المازني: إبراهيم الكاتب، ص89

كانت أبدا في نظري رمزا لذلك الظرف والرقة والشيطانية وغير ذلك مما يفيده الصقل الغربي".[1]

هكذا تصبح أزمة البطل الروائي في أنه مضيع بين النموذجين: إذ ينكر النموذج المتحرر الذي لمسه الصقل الغربي برغم أنه يسعده ويفهمه، ولا يستطيع أن يفوز بالنموذج الذي يتعاطف معه، ومن هنا كان إلقاء اللوم على البيئة التي لا تسمح بتربية العواطف وإنما بتنمية الغرائز، لذلك فإن الفتاة المصرية في الأغلب والأعم. تذهب إلى زوجها وهي لا تحمل له حبا، وإنما تحمل له نضجا جنسيا.

وشوشو على سبيل المثال حبيبته التي يحرص عليها، لا يخاف من أن يصدمها بما يقرر من أن المرأة "أسيرة ألمها الفردي وعاجزة عن الإحساس بالآلام العامة.... إنكن لا تفهمن الدنيا باعتبارها وحدة وكلا، ومن أجل هذا لا تتأثر بكن هذه الدنيا لأن الواحدة منكن لا تقدر أن تتسرب في المجموع تفنى في الجماعة".[2]

هكذا تنعكس صورة المرأة في "إبراهيم الكاتب" حزن الكاتب خلف حركة الواقع، وتطلعه إلى نموذج جديد للمرأة يمزج بين الميزات الأصلية والوافدة بما يتلائم ومثاليات المجتمع وتطلعه نحو تأصيل الشخصية الوطنية في جميع المجالات ومنها شخصية المرأة، وهذا ما جعله يقول لليلى إنه يحلم "بعصر لا يحول فيه شيء بين الإنسان وسعادته، عصر يستطيع أن يباشر فيه حريته التي لا تتعدى حرية سواه".[3]

"ثلاثة رجال وامرأة" (1944م)

وإذا ألقينا النظر إلى قضية المرأة في هذه الرواية فنجد صورة المرأة وقضيتها أكثر إيجابية ونشاطا إذ تطورت الظروف الاجتماعية بعد أن يصبح اتساع النطاق لتعليم الفتاة ودخلت الجامعة وانتهزت الفرصة الكثيرة في مجالات العمل، ومن ثم كان الاستقلال

[1]- نفس المرجع ص194
[2]- المرجع السابق، ص68
[3]- نفس المرجع ، ص210

الاقتصادي، وما يزال العامل الفعال في انطلاقها الاجتماعي واستقلالها العاطفي إلى تأكيد الوجود من ناحية والمساهمة في حركة المجتمع من ناحية أخرى.

قد لا حظنا أن هذه الرواية تصور أزمة الفتاة البرجوازية لأن تحقق الوجود بطريق البحث عن الحبيب، إذ لم يعد كافيا أن تفوز المرأة برجل قادر على أن يهبها الحب، ومن المهم أن تشعر شعورا صادقا بإتمام الشوق، فصارت المرأة هي المتمركزة في دائرة الرواية، وكذلك أصبحت الشخصية الروائية أكثر حركة ونموا.

وتقود الخط الدرامي في هذه الرواية فتاتان: محاسن البرجوازية الصغيرة وسميرة البرجوازية الغنية، وكلتاهما متشابهتان في انعدام الرعاية الأسرية حتى في حالة حضور الأب، أما سميرة فقد توفي أبوها الذي أوصى لها بثروته دون الأم، فكان من الطبيعي إذن ألا يكون للأم قوامة عليها، بينما أبو محاسن منقطع من أسرته ومشغول بالعشيقة التي أنسته بيته وأهله... وحين رأته مع العشيقة حدثت نفسها قائلة: "هذا هو الرجل الذي يزعق ويصيح أنه يؤدبنا ويقيمنا على طريق الهدى الفضيلة ويحمينا أن نضل ونغوى...فإذا ركبت أنا امرأ على غير هداية بالغا ما بلغ من التفه قامت القيامة، فأين العدل هنا وأي قدوة هذه؟".[1]

ما أكملت محاسن دراستها وما وجدت رعاية اجتماعية من الأسرة فكان من الطبيعي أن تسقط مع رجل، بينما لا تزال سميرة تعيش لأن حركتها الواسعة أتاحت لها قدرا للغاية من الوعي، إذا كان الأساس المادي قد صقل شخصية سميرة، وكانت محاسن باحثة عن العمل لتحقق الوجود والاستقلال العاطفي، ومن هنا تردد عن إيمان وثقة: "لست متزوجة رجلا إلا بعد أن يعرفني على حقيقتي بلا تمويه أو تزوير لذلك لا تمارس إلا ما تعتقد ولا تفعل إلا ما تريد، ولا أحد يفرض عليها سلوكا معينا....تذهب مع تحب إلى آخر الدنيا حتى لولم يربطها به شكل تقليدي للعلاقة، ومن ثم لم يعد يؤثر على المرأة غنى الحبيب أو فقره، وإنما إحساسها

[1]-إبراهيم عبد القادر المازني: ثلاثة رجال وامرأة، نقلا عن د.طه وادي ، صورة المرأة في الروايةا المعاصرة، ص72

بضرورة الحاجة العاطفية إليه، وتصبح المرأة في الرواية لذلك أكثر إيجابية وحركة من الرجل الذي تراه أم سميرة، خرج ومصنوع من الجبن الطري".[1]

هكذا قد تطور الوضع الاجتماعي للمرأة في مصر حينما دخلت المدارس والجامعات، وتحركت بدرجة تستجوب تنظيما جديدا لعلاقة الرجل بها، فهذا قائم على الفهم والحب والمساواة ولكن المجتمع لم يتغيربالدرجة المطلوبة، ومع أن الشخصيات التي تعبر عن هذه القضية والصورة في الرواية كلها زوجات، فنحن نعد الثورة فيها موجهة من المرأة كجنس لا كزوج باعتباره مستلب حريتها ولا يتعامل معها ككائن بشري له إرادة يجب أن تحترم وعواطف ينبغي أن تقدر، فقد تطور معنى الحب كما يقرر بطل "إبراهيم الثاني" إذا لم يعد الحب بين سيد وجارية، "فهذا ليس حبا بل عبودية لا خير فيها للجنس الإنساني، والحب ليس أن تهب ولا توهب بل أن تعطى وتأخذ".[2]

"إبراهيم الثاني" (1943م)

وأما إبراهيم الثاني، فقد تحدثت عنها في الفصل السابق.

"كوابيس بيروت" (1977م)

رواية **"كوابيس بيروت"** للكاتبة غادة السمان، فيها مزج الواقع بالحلم، أما أحلامها وملاحظاتها فهي أقرب إلى أحلام المنام، وهذا الاختلاط بين الواقع والخيال وبين المعقول واللا معقول، فهذا هو عالم غادة السمان المفضل.

وقد عرفت غادة السمان بما سيحدث على الوطن من الانفجار إذا لم تمتنع الطبقة البرجوازية. وتتراجع عن ممارستها، فإذا بالحرب الأهلية اللبنانية تندلع بعد خمسة شهور من إنجاز كتابة الرواية. غير أن هذه الطبقة متعاونة مع عملائها، وتعلم كيف تحرف الثورة عن مسيرتها، وتستعمل أسلحة التفرقة الطائفية وكل الثغرات في البناء الاجتماعي لتمتنع الثورة

[1]- الدكتور طه وادي: صورة المرأة في الرواية المعاصرة،دار المعارف، القاهرة، ط4، 1994، ص72
[2]- إبراهيم عبد القادر المازني: إبراهيم الثاني، ص95

عن مسارها، وإذا الفقراء يساهمون في ذلك العنف الذي يسبب ضياع قضيتهم وتمزقهم، ودعوة غادة السمان المتواصلة إلى الوعي والحرية والتقدم، وكل هذه الأحداث هزّت غادة، وهي تشهد انهيار كل ما كانت تأمله من وراء أدبها، حلم الحرية والكرامة والخبز.

وما كانت غادة تسجل ما تشاهد، وكانت متمزقة من الداخل، وقد جاء بها هول العنف إلى لون من العجز والخيبة، ولكنها لم تكن يائسة. ففي قلب المعارك طلعت هذه الكوابيس بمثابة دينونة لكل من ساهم فيها، الذين خططوا لها من وراء الكوابيس، وما كانت غادة متفرجة والكلمة سلاحها، فقد بدأت الكتابة وحاولت وضع إصبعها على الجرح، وأكدت تحذيراتها السابقة بلسان رسول إلى قومها، "على الخط الفاصل بين الموت والحياة أقف، وأشعر بسلام غامض يلف روحي، السلام نفسه الذي يحس به المجانين....سلام ما وراء الألم...هذا ما أحس به حينما أجلس لأكتب، ولأود "كوابيس بيروت"...صوت الرصاص والمعركة الدائرة في الشارع يتعالى...يصير كقرع عصي على آنية نحاسية في مدينة خرج أهلها جميعا يقرعون بشدة كي لا يبتلع الحوت الشمس....يصير قرعا فوق رأسي..اشتهي أن أرى ما يدور...لكني لا أجرؤ على الاقتراب من أية نافذة...".[1]

وكانت بطلة الرواية تشهد الأحداث وما يجري على الساحة من مآس، ويمتد مسلسل العنف عبر كوابيس دامية لا تنقلها غادة السمان بشكل تسجيلي، وتبذل العناية بوصف عالمها الداخلي في مواجهة ما يحدث قدر عنايتها بوصف الواقع الخارجي، بل تتجاوز الواقع إلى أحلامها، كما قد تحدث عنها عبد اللطليف الأرناؤوط في كتابه **"غادة السمان رحلة في أعمالها غير الكاملة"** "وكأن غادة السمان وهي تكتب كوابيسها معلقة بين الواقع والحلم، بين تصديق ما ترى وتكذيبه، فإذا قلمها يتمخض عن أعنف رواية تصف الحرب، وإذا وصفها للمأساة يتجاوز كل ما كتبه الكتاب العالميون عن الحرب ومآسيها، لأنها كتبت.....، تمكنت أن

[1]- غادة السمان:المرجع مذكور، ص115-116

تعد للرواية أبعادها النفسية، وتأثيرها الوجداني وبالمقابل فضحت من خلالها وبمنطق سليم بواعث الحرب ودوافعها الدنيئة، فكانت روايتها غذاء للعقل والروح معا".[1]

إن معركة بيروت كانت بالضبط معركة غادة السمان نفسها، كانت مصادرة لحلمها الذي كانت تأمل من ورائه أن تسهم في بناء عالم جديد يتفتح فيه الأزهار من الحرية الإنسانية بعد أن دافعت عنها دفاعا جيدا في أعمالها الأدبية.

وطلعت غادة السمان في هذه الرواية رومانسية، أرادت أن تعبر عن داء العصر دون مغالاة في وصف شعورها الشقي، ودون مخاطر الجنون.

وتنحاز غادة للفقراء في معركة بيروت البقاء إلا أنها تنكر العنف، وقد شاهدت أثاره مجسدة في ساحة المعركة، إنها تطلب تغيير العالم بوسائل سلمية وبالوعي والحوار.

وغادة السمان كامرأة تأسف أن يكون لها دور متفرج في الأحداث، وتأسف أيضا لغياب دور المرأة في مجتمعها الشرقي، فالمناضلون الذين يخططون مستقبل لبنان في زعمهم، هم جميعا من الرجال، أما المرأة فهي في عداد الجماهير المقهو رة والمغلوبة على أمرها غير أن غياب المرأة عن ساحة المعركة، ما كان يؤلم غادة السمان.

إن الكاتبة غادة السمان في رواية **"كوابيس بيروت"** كأنها تراجع حساباتها بموقفها من الحرية وقد سخرت أدبها أكثر من عشرين عاما لطلب العدالة والحرية وتمردت على واقعها، لكن أحداث بيروت أكدت لها أن سبيل الحرية والعدالة مملوء بالمخاطر، وهذا ليس سهلا، بل لا يكفي أن نتمرد على المؤسسة الاجتماعية للحصول على ما نشاء.

[1]- عبد اللطيف الأرناؤوط: غادة السمان رحلة في أعمالها غير الكاملة، دمشق-سورية، 1993، ص70

الباب الثالث

مساهمة غادة السمان في نهضة المرأة المعاصرة

- القضايا النسوية في روايات غادة السمان
- المساواة بين الرجال والنساء في روايات غادة السمان
- حقوق المرأة وواجباتها

الفصل الأول

القضايا النسوية في روايات غادة السمان

كانت المرأة المسلمة عامة والمرأة العربية خاصة تواجه أزمات خلال العصر الماضي، وتمثلت أمامها عوائق كثيرة في سبيل تطورها وتقدمها واختفت أدوارها الفعالة من مجالات الحياة المختلفة حتى انقطعت من التواصل الاجتماعي وحرمت من بعض الحقوق التي منحها الإسلام منذ بدايته، فبدأ بعض الروائيين من الرجال والنساء يفكرون باتجاه تثقيف المرأة وتحريرها وتقدمها في كل مجال من مجالات الحياة. فمنهم قاسم أمين (1863-1980م)،[1] وفرح أنطون (1874-1922م)،[2] وكذلك غادة السمان، وهدى شعرأوي (1879-1947م)،[3] وغيرهم.

إن الكاتبة تتحدث فيه عن الفرق بين المرأة الشرقية والغربية وفقدان عذرية الفتاة، وتحويل المرأة إلى سلعة للبيع والشراء باسم الزواج وشيخوخة المرأة وعقمها. وهكذا منحت للمرأة دور الخالقة والمخلوقة. وقد تحدث عنها الخطيب في كتابه "القصة النسائية في سورية"

"ولدت الحركة النسائية في العالم العربي في أوائل القرن العشرين وكانت هذه البداية لا غنى عنها لتساعد المرأة على الخروج من ظلمات التقاليد ورسم دورها ككائن إنساني في المجتمع. أشار كثير من نقاد الأدب إلى أن الحركة النسائية قد بدأت حقا في البلاد العربية في الخمسينات والستينات. في تلك الفترة بدأت كوليت الخوري (1937-..م) وليلى بعلبكي (1937-..م) بنشر رواياتهما الشهيرة واعتبر بعض النقاد أن وضع المرأة قد سار نحو التمرد

[1]- هو رائد الدعوة الحقيقية لتحرير المرأة، وإصلاحي مصري شهير. ولد بمدينة الإسكندرية في عام 1863، وأصدر كتابه "تحرير المرأة" في عام 1899، حول قضية المرأة، (انظر: قاموس الأدب العربي الحديث، للدكتور حمدي السكوت، المرجع مذكور، ص422)

[2]- ولد الأديب والمفكر اللبناني فرح أنطون في طرابلس الشام، لأسرة مسيحية أرثوذكسية، درس في مدرسة كفتين، وأقبل على مطالعة أفكار كبار الفلاسفة والمفكرين، مثلا، جان جوك روسو(1712-1778)، ورينان (1823-1892) وأسس مجلة "الجامعة" عام مارس 1899، (انظر: قاموس الأدب العربي الحديث، للدكتور حمدي السكوت، المرجع مذكور، ص411)

[3]- أبرز داعيات الحركة النسائية في مصر، ولدت بمحافظة المنيا، وهي ابنة محمد سلطان باشا الذي شغل منصب رئيس مجلس شورى القوانين عام نوفمبر 1881 في عهد الخديوي توفيق، ولعبت دورا هاما في الحركة النسائية. (انظر: نفس المرجع ص603)

الحقيقي بشكل خاص في رواية "أيام معه" لكوليت الخوري والذي وصف بأنه أول صرخة نسائية جريئة، حيث وجدت فيه المرأة الشجاعة لكي تقول لا قاطعة أمام الضغوط والظلم".[1]

هكذا قد تحدثت عنه باولادي كابوا في كتابها "التمرد والالتزام في أدب غادة السمان"

"تعتبر المرأة في المجتمع العربي بشكل عام ككائن دون الرجل وكأداة لمتعته يستغلها كما يريد وقد يستبدلها في حال لم تعد ترضي رغباته ومتطلباته".[2]

لا يختلف هذا الوضع كثيرا في سورية، فعند ولادة البنت تستقبل بقليل من الفرح وكثير من الضيق، وأما عند ولادة الذكر فهم يستقبلون عماد الأسرة في المستقبل والحفاظ على ثروتها بدلا من تقسيمها وضياعها عند الآخرين. وبينما تخضع الفتاة لسلطة الأب والإخوة الذكور حيث تغلق عليها أبواب المنزل احتراما للتقاليد وصونا للشرف حتى أن تقوم بدورها كزوجة أو أم. وليس من حقها غالبا إكمال دراستها إلا بانتظار أن تكون عروسة، وبذلك تحرم من إمكانية التفكير المستقل وتنتهي بزواجها من الرجل الذي يرغب به الأب.

في "كوابيس بيروت" أعطت غادة السمان للمرأة دور المخلوقة والخالقة، "ففي الكابوس (121) تحكي عن شابة واصلت دراستها لكونها طبيبة نسائية تنفيذا لمقولة الأسرة التي تكره أن تعالج ابنتهم الذكور وتمس أجسامهن، ومنحتها الحرب كثيرا من الثقة والجرأة بنفسها التي كانت مفقودة عندها من قبل، فلم تعد تشعر بنقصها أمام الرجل بل شعرت بالتساوي التام معه بل والتقدم بمعجزة الإنجاب، وصارت تجد التوليد عملا إبداعيا مناقصا للقتل الذي يمارسه مجتمع الذكور...وهكذا صارت ترى في مهنتها مهمة مقدسة تدفعها إلى تحدي مخاطر القصف لتوليد النساء، بعد ما غيرت الحرب معنى مهنتها، وصارت تحرص على الوصول إلى المكان المطلوب في الوقت المناسب، وعندما لا يرن الهاتف في الليل ليدعوها إلى ولادة مستعجلة ، تنصرف إلى نحت تمثال الطفل أي إلى الخلق الفني، فقد كانت

[1]- الخطيب:القصة النسائية في سورية،ص93
[2]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان. ص61

تجد في إخراج طفل إلى الحياة من رحم أمه عملا باهر الجمال، بل الشيء الوحيد الجميل والفاصل في هذا الزمن العاهر والمتعهر".[1]

وبهذا المعنى أصبحت الطبيبة رمزا للأم وللطبيعة. فهي العطاء الذي لا يتوقف لحظة عن الخلق ولوشغل كل ذكور العالم بالحرب، والمبدع هنا امرأة يذكرها زمن الحرب بأهمية دورها وقدسية رسالتها كخالقة للفن وللحياة.

إن غادة السمان امرأة شرقية، وامرأة عربية بالتحديد تحمل هموم ومتاعب كل امرأة شرقية، وكل امرأة عربية، و"تحاول أن تضع علاقة الرجل بالمرأة موضع الجدل والصدام والاشتباك. هي امرأة تبحث عن الحرية، لذلك فإن بحثها عن هذه الحرية وضعها رأسا في موضع الصراع من أجل الحرية، من أجل حسم معركة الحرية مع الرجل"[2] أولا، ثم مع المجتمع التقليدي ثانيا، فالمرأة المتحررة المتمردة هي التي تتمكن من الخروج على الإطار الذي حدده لها المجتمع.

وإن المرأة الأوروبية الغربية على عكس المرأة الشرقية، خرجت من كل القيود وخروجها هذا لا يحقق "وجودها وحريتها بقدر ما يحقق حرية الرجل في السيادة على أنثاه. إذ هو يضع منها لعبة يدللها بالنزهات والملابس الفاخرة، والرحلات، ولا يضع على وجهها نقابا أسود، وإنما يضع لها نقابا رقيقا أبيض من البودرة وأحمر الشفاه، لتصبح في النهاية دمية يلهو بها على الفراش"[3]

والمرأة المتحررة، المتمردة على الأمر الواقع مرفوضة عند الكثير من الرجال. هذا "رغيد الزهران" في رواية "ليلة المليار" يتذمر من "ليلى السباك" لأنها خرجت من سجنها

[1]- غادة السمان: كوابيس بيروت نفس المرجع. ص191-192
[2]- شاكر النابلسي: فض ذاكرة امرأة، بيروت-1990،ص24
[3]- غادة السمان: ليلة المليار.المرجع مذكور ص246

فيقول: "أما ليلى فشيء آخر، ومن الواضح أنها ترفض أن تكون دمية أو لعبة، وتطمح إلى أن تكون واحدة من اللاعبين..... إنها ذكر مسجون في جسد أنثى".[1]

يجب على النساء أن يعلمن، ألا يضحين بقلوبهن وأرواحهن على مذبح حب الرجل، بل أن يلتفتن إلى الأمور الأساسية، أي إلى النشاطات الخلاقة، لا ينبغي للحب أن يسحق فردية المرأة، أو أن يقطع أجنحتها. وعليها حين يهدد الحب باستعبادها وإذلالها أن تحطم قيوده، وتتابع طريقها بحرية تامة. "إن العلاقة الإنسانية المتبادلة.....بين الرجل والمرأة جدلية لا جامدة، بمعنى أن وراء كل امرأة مسجونة رجلا مكبوتا، وراء كل مومس رجلا بائسا من علاقة سطحية وغير إنسانية".[2]

"إن المرأة الشرقية، التقليدية والجاهلة، الرازحة تحت نير التقاليد والخنوع تستعمل العهر والدهاء، العهر النفسي والفكري في علاقتها مع الرجل، من أجل تحقيق غاياتها. أما المرأة المتمردة، الواعية، ظاهرها كباطنها لا لبس فيه ولا غموض ولا عقد. ولكن هذا استثناء في مجتمع باطني إذ لا أحد يصدق هذه الحقيقة".[3]

إن الكاتبة تشدد على أنه " حينما تنمو العلاقة بين الرجل والمرأة داخل تابوت السرية المظلمة، يكون الألم توأم العلاقة. ففي الظلام يتخبطان....دون أن يميز أحدهما وجه الآخر حقا. وفي تابوت اللعنة السرية يتقزم الحب ويصير عذابا متبادلا.....فقط. حينما تنمو العلاقة تحت الشمس، شمس الوضوح والصدق ينمو معها الأمل في خلق علاقة إنسانية بناءة وإيجابية"[4]

إن المرأة الغربية تحسد المرأة الشرقية على رجلها والحياة التي تحياها. ففي أقصوصة "المواء" تقول " دزدرا" لصديقتها الشرقية: "أنتن الشرقيات، لا تعرفن معنى الحياة الحقيقية،

---

[1]- غادة السمان: ليلة المليار. نفس المرجع.ص246

[2]- غادة السمان: صفارة انذار داخل رأسي. المرجع مذكور، ص81

[3]- وفيق غريزي: الجنس في أدب غادة السمان، المرجع مذكور ،ص34

[4]- غادة السمان: القبيلة تستجوب القتيلة. المرجع مذكور ص323

الجوع والرغبة والشهو ة والملل والعقم.....كل ما يريده الرجل من امرأته هو أن تطبخ جيدا وتستحم جيدا.....إنها نعمة على أية حال ترتعن فيها...."[1].

أما المرأة الشرقية ومهما كان رأي المرأة الغربية التي حول مجتمعها كل شيء، البشر والحيوان إلى آلة، فهي أي الشرقية تعيش ضياعا، وصراعا في أعماقها، بين المدنية الغربية ومادياتها المدمرة، وبين الشرق وكبته وروحانيته. وهي عاجزة عن التمتع بصداقات القطارات ولا تستطيع أن تنسجم مع رجل وتمنحه الجنس بدون وجود المشاعر العاطفية المتبادلة.

أما المرأة الغربية، وبالرغم من التقدم والتطور فإن وضعيتها لم تكن ولن تكون أفضل من واقع المرأة الشرقية، لأن المدنية الاستهلاكية حولتها إلى سلعة، وإلى شيء يستغل تجاريا لترويج بضائع الشركات والمؤسسات الصناعية، وقيمتها تحددها السوق وليس إنسانيتها. كما أن المرأة الشرقية تختلف عن المرأة الغربية في أنها "اعتادت منذ سنين لا يحصيها العد، أن تعطي فقط، وتعطي دائما، جارية، نوعا من المتاع الذي يطالب بكل شيء ولا يطالب بشيء. هذا جيل من النساء نعرفه، وربما مازلناه يوميا، ونتململ معه ويثير سخطنا، والرجل في معظم الحالات، ما زال يرتاح لهذا الوضع. إن الإنسان ميال دائما ليكون سيدا على حبيبته".[2]

وبالمقابل فإن المرأة الغربية تتشوق إلى سلطان الرجل الشرقي الذي يشكل عبئا على المرأة الشرقية. كما تشعر أيضا بالميل إلى فحولته وصلابته، بعد أن جعلت المدنية الحديثة الرجل الغربي مائعا مخنثا. بينما على عكس ذلك فإن المرأة الشرقية لا تستهوي الرجل الغربي كما تستهوي الغربية الشرقي. فالجيل الذكوري الجديد في الغرب يرعب المرأة الشرقية في "لرجاله شعر طويل، ونظرات مخنثة، لا تطاق.... ما زال الرجل في بلادي صلدا يثير حنين فتاته إلى انسحاق كامل.... ما زال يعاملها على أنه هو الرجل.... على أية حالة، لا مكان لمثل هذا في مدينة يموت من لا يعمل فيها".[3]

---

[1]- غادة السمان: ليل الغرباء، منشورات غادة السمان، بيروت-1973،ص35

[2]- غادة السمان: القبيلة تستجوب القتيلة،ص81

[3]- غادة السمان: ليل الغرباء،ص32

مما لا شك فيه أن الاستعمار الغربي نقل إلى مجتمعاته صورة مشوهة عن المجتمع العربي، وعن المرأة العربية، بدون التدقيق والتحقيق وإصدار الأحكام العلمية على الواقع العربي. وتكون في ذهنية الغربي نتيجة ذلك صورة دونية عن المرأة العربية وكان للقيمين على مقدرات الوطن العربي دور في ترسيخ هذه الصورة.

إن غادة السمان كانت أكثر جرأة من غيرها، حيث وضعت إصبعها على الجرح، وأعلنت "أن الزواج في بلادنا هو نوع من العهر الإنساني غالبا، المزود بشاهدين ووثيقة رسمية، ويتمتع بحماية المؤسسات المتعفنة القائمة، لأنه بفساده وبتأطيره للإنسان، وبالتالي قتله البطيء لإبداع الفرد وثوريته، يضمن بقاء هذه المؤسسات واستمرار استنزافها للإنسان". [1]

إن تحويل المرأة إلى سلعة تباع وتشترى باسم الزواج في بازار النخاسة هو نوع من البغاء المقنع بقناع الشرعية المزيفة التي تتناقض مع جوهر الشرف بمعناه السامي. وإذا كان تعريف المومس بأنها المرأة التي تقبل العلاقة الجنسية بالرجل لأسباب محض تجارية نفعية، فلا بد من أن يسري هذا التعريف على أي امرأة تقبل بالعلاقة الجنسية بالرجل للأسباب ذاتها، مهما كانت الأطر التي تتم العلاقة داخلها. وبهذا، فالعلاقة الزوجية القائمة على هذه الأسس والغايات إنما هي في جوهرها دعارة.

والمرأة كما تقول غادة السمان: "ليست مضيفة زوجية ولا آلة تفقيس أطفال ولا مؤسسة ضمان ضد الشيخوخة. الزواج بمعناه التقليدي هو الذي يرعبني".[2]

وحينما نلقي نظرة موضوعية على الواقع نجد كثيرا من النساء أجبرن على الزواج من رجال لا يرغبن فيهم، خدعن بهم في مجتمعاتنا العربية، وبعد أن وعين حجم المصيبة التي ألمت بحياتهن الزوجية، ندمن أو تمردن على هذا الواقع بالخروج عن الطاعة. فدنيا زوجة نديم الغفير في رواية "ليلة المليار" تقدم لنا نموذجا حيا عن ذلك، حين أعادت في خيالها شريط

[1]- غادة السمان: الثورة الجنسية والثورة الشاملة، ص71
[2]- غادة السمان: القبيلة تستجوب القتيلة،ص25

حياتها قبل الزواج وبعده، مدركة أي مصيبة وقعت فيها، فوقفت أمام صورة لها كانت قد رسمتها سابقا تمثل شبابها، وجرى حوار بينها وبين الصورة! "أضايقك؟ لقد دمرت حياتي وتعتبين لأنني أضايقك؟ كيف؟ أنا دمرت حياتك؟ أجل....كنت صبية حرة، حية، ممتلئة آمالا....

كانت الموهبة هي تتدفق في عروقي لا الخمرة.... أنظري ماذا فعلت بي، وأية عبودية أرزح في أغلالها.... أنظري ماذا فعلت بالصبية التي كنتها ذات يوم".[1]

لقد وعت دنيا زوجة نديم الغفير أن زواجها لا يعتبر زواجا، إنها موظفة في مؤسسة مالية يطلق عليها اسم الزواج. والغريب في الأمور، هو كيف يشعر الرجل بمعنى الحياة، إذا هو بمحض إرادته أن يعيش مع امرأة لا تحبه ولا تقبل به؟ وبالمقابل فإن المرأة تعيش في كنف رجل تكرهه لن تشعر قطعا من السعادة النفسية والفكرية والجنسية، لأنها لا تعتبر هذا الزوج ذا مشاعر إنسانية حقيقية، فهو سعي إلى اغتصابها قبل المشاركة في التآمر عليها.

هنا تذكر ياسمينة حين تعرت تماما للمرة الأولى في حياتها تحت الشمس.....

"لم أخلع ثيابي بأكملها من قبل إلا في الحمام..... خلعتها كلها في بيت رجل في دمشق، يومها أغلقنا النوافذ كلها..... أطفأنا الأنوار كلها..... ومع ذلك ظلت أصواتهم تنزف من الظلام وترقص على الجدران محذرة من الإثم الذي سيقع..... وصاياهم كائنات أسطورية كديدان المقابر تركض فوقي في الظلام وتأكلني وتطفئ شهواتي، وحين لمسني، انطلقت الأصوات كلها صارخة دفعة واحدة كجوقة رعب، ولعله سمعها، فقد عجز عن امتلاكي وانطلقت هاربة من بيته، ولم أره بعدها ولم أكررها".[2]

[1]- غادة السمان: ليلة المليار، المرجع مذكور ، ص198
[2]- غادة السمان: بيروت75، المرجع مذكور ، ص13

في المجتمع الطبقي والاستبدادي الذكوري، تبيع البغي مادة الحب بالمال، كما يبيع العامل والأجير قوة عمله وحياته مقابل أجر معين. ووجود هذا الضرب من المبادلات الدنيئة يحول جميع العلاقات الإنسانية الأخرى إلى علاقات وهمية، خاصة علاقة الرجل بالمرأة.

وإن الاحتفالات والمهرجانات التي تسوق جمال المرأة خدمة للاستهلاك، فجعلت المرأة تعيش حالة شعورية تدفعها إلى إظهار مفاتنها، ليس بقصد قيمة جمالها بل رغبة في أن يتحرك هذا الجمال لاجتذاب الرجل بأي طريق.

إن صرخة ديموستين الكائن الأجمل.... إنه المرأة الخلابة يعني بمجال الجمال كقيمة شعورية من هبات الآلهة. والكبت الجنسي لحق نسبيا بالرجل، ولاسيما في الأرياف حيث التقاليد أكثر وقارا. فالشاب "فرح" الذي طلع من مثل هذه البيئة، هو يقول بعد مغادرته نحو بيروت 75: "لم أجلس أبدا هكذا مع امرأة، نرشف النبيذ في الضوء الشاحب..... يدي تلمس فخذها تحت الطاولة ترتجف وتحلم بكل الملذات التي يمكن أن نمارسها معا".[1]

إن الكاتبة غادة السمان في روايتها مازالت حواء القديمة التي تقود آدم إلى الخطيئة والخروج من الجنة، وهكذا دفعت كفى زوجها خليل في رواية "ليلة المليار" إلى الهجرة لتحقق تطلعاتها إلى الحياة المترفة، "فجعلت من جسدها جسرا للوصول إلى حياة ترف. والكاتبة ترد المرأة إلى منبتها الطبقي.... فكفى متشبعة بمبادئ الحياة البرجوازية الموروثة عن أسرتها، ولا تستطيع أن تتخلى عنها، وهي لا تتورع أن تضحي بزوجها وأسرتها في سبيل تحقيق رغباتها"[2]

فيغريها نديم إلى حياة الترف واللذة فتنزلق إلى مهاوي الرذيلة، وتنتقل من شاب إلى آخر، حتى يغتصبها في آخر المطاف صقر الغنمالي.

[1]- غادة السمان: بيروت75، المرجع مذكور، ص23
[2]- عبد اللطيف الأرناؤوط: غادة السمان-رحلة في أعمالها غير الكاملة، المرجع مذكور ، ص38

و"أما ليلى السباك في رواية "ليلة المليار" فهي نمط آخر للمرأة... لأنها عاشت زمنا طويلا من حياتها في أوروبا، إنها مسترجلة تعمل بهمة الرجال، وتحقرها رغبة للوصول إلى الثروة بالتعاون مع رغيد الزهران"[1] وقد تم مقتل رغيد الزهران قبل أن يوقع لليلى السباك على الشيك الموعود الذي انتظرته سنوات وهي تهيء لليلة المليار فعادت خائبة حتى انتحرت بحادث سيارة في الطريق. لذلك المرأة الشرقية عند غادة السمان...مستلبة مصادرة وهي كأي سلعة من السلع في المجتمع البرجوازي.

يخطئ من يحسب أن غادة السمان في أدبها تدعو المرأة العربية إلى الثورة على أعراف مجتمعها وتقاليد لتأخذ بأسباب المدنية الغربية وهو وهم خاطئ. فغادة السمان ترفض تحرر المرأة الكاذب النابع من تقليد المرأة الغربية، إنها تريد للمرأة العربية حرية واعية، فهي تدعوها إلى لون من الوعي الإنساني، تدرك عبر وظيفتها العظيمة في الحياة، ودورها الإنساني الرائع، وسيدة مجتمع وعنصر جمال تزين حياة الرجل، تريد منها أن تتخلى عن نزعة احتقار لنفسها حين تظن أنها خلقت لإغراء الرجل فحسب، وهي بالمقابل ترفض كل قيد يحول بين المرأة وبين أن تمارس حقها في الحياة السرية المقدسة ندا للرجل، لذلك كانت دعوتها للمرأة رسالة توعية وتحريض في رواياتها وقصصها.

في جريمة شرف: كما قد تحدثت عنها الكاتبة باولادي كابوا في كتابها "كاشفة عن الوضع البائس للطبقات الكادحة، فأبوعلي الفلاح يعاني من الفقر ومن الجهل معا، وقد دمر منزله بغارة جوية إسرائيلية واضطر للانتقال إلى المدينة بحثا عن عمل. فيستخدمه باشا كسائق له. يمثل أبوعلي الطبقة الفقيرة التي تتحمل الظلم والذل والألم.....فإبنه يقتل أخته من أجل الشرف لأنها قد أحبت شابا فدائيا وبدأت بالنضال معه. حرك هذا الحدث المأساة، حين نرى أبا علي يقتل شاربيه ويقتل كلب زوجة الباشا في جريمة رمزية، لكنه يحدس أن حل الأمور على هذا النحو غير ممكن، وفي لحظة وعي يحلق شاربيه رمزا لفقدانه احترامه لذاته.....تأتي المأساة

[1]- عبد اللطيف الأرناؤوط: المرجع مذكور، ص39

الأخلاقية "فقدان عذرية الفتاة" لتلقي بظلها على المأساة الوطنية التي تخنقها التقاليد المتأصلة".[1]

إن بعض المجتمعات قد اعترف بحق المرأة بأمر اللذة مثل الرجل، "ذلك أدى إلى اهتمام العلماء بالمرأة وبدراسة الأسباب التي تحول بينها وبين الإحساس بلذة الجنس، وأهم هذه الأسباب يسمى "البرود الجنسي" الذي يصيب النساء، جراء الكبت والضغط الاجتماعي. ففي المجتمع الشرقي فقدت المرأة مكونات شخصيتها وأفرغت من إنسانيتها، وتحولت إلى شيء، فهي تارة أداة للإعلان، وهي تارة أخرى أداة للشراء والاستهلاك، وهي تارة للإمتاع وخدمة الشهو ة، وهي تارة سلعة تباع وتشترى في سوق الزواج".[2]

ومما لاريب فيه، أن هواجس الإنجاب هي التي تنشئ في المجتمع السلطوي تعدد الزوجات، والتاريخ مملوء بالأمثلة عليه: "سارة زوجة إبراهيم الخليل التي يئست من عقمها، هي التي توسلت لزوجها أن يضاجع خادمتها هاجر، بغية الإنجاب. وفي الزواج التقليدي تتحد قيمة المرأة بجسدها فقط، حيث أن مهرها يختلف بين أنثى وأخرى، فلكل واحدة سعر وثمن. فالمرأة التي فقدت بكارتها يكون مهرها أدنى وأقل من مهر العذراء، لأن البضاعة الأولى مستعملة، فتنخفض قيمتها في سوق التجارة. ولهذا نرى التشريع المسيحي والإسلامي عندنا يعتبر انتفاء البكارة سببا لإبطال الزواج لوجود عيب في البضاعة، كما لوكانت المرأة سيارة أو أي سلعة أخرى".[3]

في عالم المال والثراء كل شيء عرضة للبيع والشراء حتى الإنسان. وكان هذا العالم الوجه الآخر في الغربة للواقع في الوطن، ولا يختلف الوجهان الداخلي والخارجي إلا بالوسائل والشعارات. فبكارات العذراوات تشرى بالمال من قبل أهل الفقراء والمحتاجين. الأمير صقر اشترى بكارة عذراء لقاء نصف مليون جنيه استرليني كي يفضها ليفتخر بفحولته، والبكارة في

[1]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور - ص79-80
[2]- نوال السعداوي: المرأة والجنس،بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1972، ص124
[3]- وفيق غريزي: الجنس في أدب غادة السمان، ص55

عالم المال ذات دلالة تختلف عن دلالتها في المجتمعات الشرقية، ولا سيما في الطبقات المتوسطة والفقيرة المحافظة. يقول صقر لخليل الدرع الذي يرافقه لعقد هذه الصفقة: "سنعود إلى هذا البيت مرارا يا خليل فيما يبدو....للعذراى سحر لا يخبو منذ الليلة الأولى. والبكارة فكرة، لا مجرد غشاء.... يزول الغشاء، ويبقى تحدي الفكرة..... ولا بد من تكرار الزيارة".[1]

إن شيخوخة المرأة وعقمها لا يشبهان شيخوخة الرجل وعقمه. فالمرأة هي أداة الأمومة والجنس واقعيا، فعندنا تعجز عن القيام بهاتين الوظيفتين تصبح: كائنا غريبا معزولا، فهي أيضا لم تعد في شيخوختها لا امرأة ولا رجلا، لذلك فإن المجتمع يحملها مسؤولية كل الشرور التي تلتصق بسن الشيخوخة الذي هو مصير كل الكائنات الحية.

[1]- غادة السمان: ليلة المليار، المرجع مذكور، ص395

الفصل الثاني

المساواة بين الرجال والنساء في روايات غادة السمان

إن في التاريخ القديم والحديث أمثلة عديدة لا تحصى عن نساء تفوقن على الرجال في المقدرة العقلية والنفسية والروحية والعملية. وهذا يدحض مقولة تفوق الرجل على المرأة. ومثال على ذلك "كانت امرأة فرعون تحب أن تعيش إيمانها في إنسانيتها، ولكنها لا تجد أية فرصة للقيام بذلك، لأن زوجها يملأ الحياة من حولها بكل ما هو غير إنساني في اضطهاده للمستضعفين هناك".[1]

إن المرأة بصورة عامة، تثير عند الرجل شعورا بالخوف والقلق لا لأنها الحكم على قوته الجنسية وحسب، بل أيضا أنه يميل طوعا إلى تصورها، وكأنها نار لا بد إضرامها وتلقيمها على الدوام، وكأنها تفترس الذكر، فالرجل في جميع الأحوال، خاسر في المبارزة الجنسية. وإن المرأة تمنعه من أن يكون ذاته، من أن يحقق روحانيته وهدفه، من أن يهتدي إلى درب خلاصه، وسواء أ كانت زوجة أم عشيقة، فهي سجانة الرجل. إن هذا الاعتقاد لدى كثير من الناس يصب الحب في طاحونة النظام البطركي، لأن المرأة اتهمت بأنها سجانة الرجل ظلما ورياء. ولكن السجان الحقيقي هي شهو ات الرجل المضرمة في أعماقه.

في أقصوصة "يا دمشق" تقابل الكاتبة حرارة دمشق مع برود لندن ونرى بوضوح شعورها بأن الغرب قد يشكل إغراء لشباب الشرق لكنه لا يقدم الأجوبة كلها. فنجد مثالا واقعيا عن خوف الرجل الشرقي من المرأة:

"الحقيقة أنني أحبها لأنها تذكرني بحبيبة غالية خلفتها في دمشق. فبدأ الحوار بين الرجل الشرقي وصديقته اللندنية،

هل اسمها يشبه اسمي أيضا؟.....

أجل..اسمها سوسن يا سوزان.....

طباعها، شخصيتها، أفكارها، هل تشبهني أيضا؟...

[1]- السيد محمد حسين فضل الله: تأملات إسلامية في المرأة، بيروت- دار الملاك، 1991، ص12

أجل...عنادك واعتدادك وطموحك وقوة شخصيتك، أي جميع الصفات التي أحبها فيك.....

وهل ستتزوج منها حينما تعود؟...

طبعا لا..

لماذا؟....

لأن لها هذه الصفات! تقول: أيها الشرقي المتناقض!"[1]

يظهر مما سبق أن الرجل العربي لا يخشى على المرأة بقدر خشيته على نفسه منها أي من وعيها وقوة شخصيتها. فهي في معظم الأحيان الشيطان الذي يغوي ويهلك ويدمر.

إن المرأة التي تخرج من البيت وتجول في الشارع، تكون قد مارست طقسا يناقض طقوس المجتمع الاستبدادي، وينتهك نظام الحريم، وبهذا الخروج تعرض نفسها للذم والقدح وكأنها ارتكبت جريمة أو معصية فلا يمكن اغتفارها. "شاهدك نظام الرفاق في المقهى تدوريك بسيارتك، علقوا ساخرين إنك تبحثين عن رجل؟.. هذا كل ما يمكن أن يخطر لهم....إنهم يشخصون أمراض الغير من خلال أمراضهم"[2]

وبدافع من هذا الخشي، يقوم الرجل بعمل رادع للمرأة التي تحاول الخروج عما خطط لها. ونتيجة لقوة المرأة إلى الطاعة والاستسلام.

إن التفاوت الذي قد نجده بينهما هو من فعل الطبيعة الذاتية لتكوين الإنسان، وهذا التفاوت نجده أيضا بين الرجل والمرأة. فالمرأة إنسان لها كرامتها الإنسانية ككرامة الرجل. فالرجل والمرأة إنهما قوام الإنسانية، ولا قوام لها إلا بهما معا. وبعض التعاليم الإسلامية مثبتة ذلك بالتأكيد وهي أن المسؤولية التي يحملها الرجل والمرأة واحدة، وما يترتب على ذلك من ثواب وعقاب

[1]- غادة السمان: ليل الغرباء، المرجع مذكور ، ص114
[2]- نفس المصدر، ص135

واحد، لا تمييز بينهما. وهذا اعتراف ضمني بالمساواة العقلية بين الإثنين، لأن ناقص العقل لا يحاسب كما يحاسب صاحب العقل التام.

كما قد تحدث عنه وفيق غريزي في كتابه "الجنس في أدب غادة السمان" "أن الشعارات والمقاييس المادية التي تحدد كينونة المرأة لدى الرجل والمتمثلة بشكل المرأة الجسد، إذا كان رجلا، وبمفاتن الجسد إذا كان امرأة."[1]

هناك أذكر أربعة أهداف للمساواة بين الرجال والنساء

(1) تحرير المرأة من كل القيود. (2) تعليم المرأة على قدم المساواة مع الرجل.

(3) تعمل المرأة كما يعمل الرجل في المكتب والشركة. (4) مساواة المرأة للرجل في جميع الحقوق.

إن كلمة المساواة تعني أمورا مختلفة، أي تعني أن تكون قيمة الناس جميعا متساوية وكذلك المساواة في التعامل. وتأتي هذه الكلمة من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي ثبتته الأمم المتحدة عام 1948. ينص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان للأمم المتحدة على أن كل الناس لهم قيمة وحقوق متساوية. من حق كل إنسان أن يقول رأيه وأن يعتقد بالإله الذي يختاره وأن يختاره أي شريك حياة، ويسري هذا الإعلان على جميع الناس في كل أنحاء العالم.

(1) تحرير المرأة من كل القيود.

إن قضية تحرير المرأة تأتي "كجزء من إطار أوسع أكثر تعقيدا ألا وهو تحرير المجتمع العربي كله وتطويره. لقد رسمت هزيمة 1967م الطريق والشكل النهائي لقضية المرأة، فهي ناتجة عن العلاقات الرجعية التي حبست المرأة في سجن التخلف الاجتماعي ككل

[1]- وفيق غريزي: الجنس في أدب غادة السمان، المرجع مذكور ، ص39

وعوامل كثيرة أخرى. وأصبح من الضروري تجاوزها للانضمام إلى الرؤية الواسعة للعالم وقضاياه".[1]

إن التمرد والالتزام عند غادة السمان كلاهما لازم وملزوم، "فهي تتمرد على الوطن ولكن من أجل الوطن أي التزاما بصدقها معه. التمرد عندها ليس حرية التهديم بل حرية البناء. كأن تمردها ملتزم بكل القيم الإنسانية التي تؤمن بها. فهي تعشق الحرية حتى ذروة التمرد لكنها تؤكد أنها تتحدث عن حرية مسؤولة لا فضفاضة".[2]

وهناك تتحدث الكاتبة بلسان بيروت: " لم أكن قط جميلة. لا جمال بلا عدالة. كنت قناعا جميلا وها أنا أخلع قناعي ومجوهراتي وفرائي وفقازاتي وأغسل وجهي.....ولو بالدم. ضيعت دوري؟.. لقد رفضت دوري كراقصة أولى في كباريه الشرق الأوسط".[3]

فبيروت قد أصبحت غابة يسيرها قانون الغاب كلعبة قانونية. ورواية **"بيروت75"** تشير إلى انفجار وضع لم يعد بالإمكان احتماله، انفجار أتى أولا بأول على الأضعف كما رمزت إليه مصائر خمسة من أبطال الرواية أمام الموت سواء قتلا، انتحارا، ثأرا، جوعا.

إن الكاتبة الفرنسية "سيمون دي بوفوار"[4] أشد تطرفا من غادة إزاء الزواج لكونها في مجتمع يختلف عن مجتمعنا. فهي تؤكد أن الزواج ليس إلا فخا ينصبه المجتمع للمرأة منذ سن الطفولة، وتدخل فيه مطأطأة الرأس في سن الشباب. "أما غادة السمان فإنها لا تعتبر العائلة أو الزواج معيقا بالضرورة لتحرر المرأة، إنها تطالب بتطوير مؤسسة الأسرة العربية. لكن كل هذه الانتقادات للمجتمع العربي لا تعني أن الكاتبة تحس بأنها منجذبة للمجتمع الغربي، فهي

---

[1]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص68-69

[2]-نفس المرجع، ص72

[3]- غادة السمان: كوابيس بيروت، ص146

[4]- كاتبة مفكرة فرنسية وناشطة سياسية ونسوية، ولدت في باريس عام 1908،هي كتبت العديد من الروايات والمقالات والسيرة الذاتية. (انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/سيمون_دي_بوفوار)

أيضا تنتقد تلك العوائل المنتمية إلى البرجوازية العليا والتي تتبع ظاهرا سلوكا أوروبيا محضا ولكنها تفتقر للانتماء منفية عن قاعدتها الثقافية".[1]

إن صور النساء المعذبات الموجعة تولد نشوة عارمة عند الرجل/ الذئب في المجتمع الذكوري. ها هو رغيد الزهران في رواية "ليلة المليار" يتذكر عند رؤيته مثل هذه الصور الأليمة: (نظرات الجميلات لحظة يتلقين أمر الطرد من فراشه بعد أن تمسه يد الرعشة المباشرة.....يدخل إلى قلعته الذهبية، ويشعر بالأمان.....بحبها هكذا.....ضيقة النوافذ، نصف معتمة، محشوة بالكنوز والأسرار، وببكاياء الصبايا العذراوات لحظة تنفيذ عقد شراء البكارة ولحظة الطرد".[2]

إن الكاتبة غادة السمان رفضت منذ البداية التقليد الذي يجبر الفتاة على الحفاظ على بكارتها حتى يوم الزواج كمقياس وحيد للأخلاق ولجودة البضاعة. إذ إنها لا تجد البكارة بالضرورة العفة النفسية ولا الجسدية في عصر الفضاء حيث تكفلت التكنولوجيا برتقها مرات وكرات.

إن تحرر المرأة في المجال الفكري والعاطفي كان نقطة الانطلاق في فلسفة غادة السمان وفي أدبها. بطلات **"عيناك قدري"** كن طالبات مدارس: "تمردن على القواعد الاجتماعية والعائلية ووجدن في التعليم أداة تحرر وسلاح يضمن مستقبلا اقتصاديا ونفسيا، مؤكدة بذلك حق المرأة في بناء ذاتها وإرادتها في التحرر"[3] لكن ياسمينة في "بيروت75" التي تعلمت وعملت في دمشق حيث استقلت اقتصاديا، بدون أن تستقل فكريا ونفسيا، وقعت في بؤرة عميقة من الفساد في بيروت، بسبب انبهارها بأضواء عالم الجنس وخضوعها المطلق لجاذبية جسد الرجل.

---

[1]- باولادي كابوا: المرجع مذكور، ص13
[2]- غادة السمان: ليلة المليار، المرجع مذكور، ص29
[3]- باولادي كابوا: المرجع مذكور، ص38

بالنسبة إلى الفرد، الحرية أكبر مسؤولية من العبودية، وأشد خطرا عليه، فإذا لم يتمرس عليها بسلاح الوعي والثقافة والإرادة الصلبة، قبل البدء بممارستها دمرته. والمدينة الغربية "تعتبر أن إعطاء الحرية الفردية للإنسان بشكل كامل مظهر من مظاهر التقدم، وهذا لا يعني ألا يؤمن الإنسان بالحدود والضوابط الأخلاقية، في علاقة الرجل والمرأة على مختلف المستويات"[1]

إن الكاتبة غادة السمان قد ذكرت حكاية صديقتها، ولندعها تروي الحكاية:

"صديقتي ابتلاها الله بحب الأدب وبحب الناس، وكلا الحبين مؤذ في هذه الأيام..... فأما الأدباء فإنهم يسيؤون فهم ما تكتب، وأما الناس فإنهم يؤولون تصرفاتها البسيطة على غير محملها. وصديقتي كما يقولون متحررة.....

اتصل بدارها هاتفيا شاب مجهو ل وطلب أن يحدثها..... وهذا نص الحديث كما روته لي:

هل أنت الآنسة فلانة؟.....

أجل، من حضرتك؟

ليس من الضروري أن تعرفي اسمي منذ البداية، لكنني أحب أن أبدي لك إعجابي بك، وأحب أن أسألك بعض الأسئلة.....

آسفة، ليس لدي وقت أضيعه.....

ما هذا الكلام يا آنسة؟ أنت تدعين التحرر ثم تخافين من الحديث معي على الهاتف؟...

التحرر لا يعني أن أتحدث مع شاب لا أعرفه!..

لكنك تدعين أن الشاب كالفتاة لماذا لا تعتبريني فتاة وتحدثيني؟....

[1]- السيد محمد حسين فضل الله: تأملات إسلامية في المرأة، المرجع مذكور ، ص34

لأنني لا أتحدث مع فتاة لا أعرفها أيضا... أتراك تعتقد أن التحرر حجة كافية لتبرير أي تصرف سخيف؟

وهذه ليست مجرد حادثة..... إنها نموذج للهو ة العميقة التي بدأت تتسع بين فتيات جيلنا وشبانه بسبب المفهو م الخاطئ للتطور الذي يحمله الكثيرون والكثيرات....

فالفتاة المتحررة اليوم في نظر أكثر الشبان هي مخلوقة عجيبة لا هي بالأنثى ولا هي بالرجل. وهذه الفتاة في الحقيقة ليست متحررة إلا بمفهو مها..... إنها امرأة دمية، وهي ليست متحررة إلا من إنسانيتها وثيابها واحترامها لنفسها.....

الفتاة المتحررة هي اليوم واقع يتمشى مع الصحوة الفكرية التي يغشها.....

والتحرر لا يعني تحررها من الأخلاق والثياب والتقاليد بأكملها.....

الفتاة المتحررة هي من حيث المبدأ إنسانة تعتقد أنها تحمل قدرا من الإنسانية يس أو ي القدر الذي يحمله الرجل..... وهي تعترف في نفس الوقت بأنها أنثى وبأنه رجل...

فالفرق بينهما كيفي لا كمي... وكلاهما يتس أو ي في رتبة الإنسانية..... ويتس أو يان بالتالي في الحقوق الإنسانية".[1]

(2) تعليم المرأة على قدم المساواة مع الرجل.

حضرة عبد البهاء "لم يكتف في ألواحه بتوجيه النظر إلى مسؤولية الأبوين تجاه تربية أو لادهما فحسب، بل حدد بكل وضوح أن تربية البنات وتعليمهن أهم من تربية الأبناء وتعليمهم، لأن البنات سيصبحن يوما ما أمهات، والأمهات هن المربيات الأوليات للأطفال. ولذلك إن

[1]- غادة السمان: الأعمال غير الكاملة 10، بيروت- دار الكتب، ط1995، ص258-259

استحال على عائلة تعليم كل أطفالها، يلزم تفضيل البنات لأن بفضل أمهات متعلمات تتحقق فوائد المعرفة في المجتمع بسرعة ونجاح."[1]

إن الإسلام شكل ثورة اجتماعية بالنسبة إلى الحالة التي كانت تعيش في ظلها المرأة. فالإنسان في العصر الجاهلي كان يئد البنات وقت ولادتها خوفا من العار، ولكن بعد وفاة النبي قد انتهت المرحلة الذهبية في حياة المرأة، وعادت إلى سابق عهدها تعاني القهر والاضطهاد. وتعددت الآراء التي تتفنن في وضع التعاليم الصارمة التي تسلب المرأة إنسانيتها.

هذه الحقيقة الواقعية صورتها غادة السمان "في أقصوصة "عيناك قدري" التي تروي حكاية طلعت خامس فتاة لوالديها التي تذمر الأب عند ولادتها، لأنه حاجة إلى ولد ذكر يحمل اسمه ويرثه بعد موته. وعند ولادتها اسماها طلعت. وهي وعت هذه الحقيقة وعملت على التمرد على أنثويتها وضعفها، فأنهت تعليمها وعملت واستقلت اقتصاديا لتثبت إنسانيتها مثل الرجل، ضاربة عرض الحائط بكل النظريات والمفاهيم التي تحط من قدر المرأة، ولا ترى فيها سوى الجسد".[2]

إن المدينة الغربية تفوح منها رائحة الموت والتفاهة والعقم الفكري والنفسي الذي يصيب النساء والرجال على السواء ويمتد ليصيب كل الموجودات. أما في المجتمعات الشرقية فإن المرأة "تدرك أن ثورة الإنسان ليست بسبب صراعات داخلية في اللاشعور....ولكنها بسبب صراعات خارجية....وأن النشاط الاجتماعي للفرد هو العامل الأساسي في تكوين نفسيته. وحيث أن وعي الإنسان انعكاس للواقع، فإنه يلعب الدور الرئيسي في تشكيل سلوك الإنسان. تدرك المرأة الواعية أن الإنسان ليس كائنا عصابيا عاجزا، وعبدا لغرائزه....لكنه إنسان له قدرة على الإرادة والاختيار الحر وتغيير العالم من حوله، من خلال قدراته الثورية الخلابة".[3]

---

[1]- شرح الكتاب الأقدس: فقرة 76

[2]- وفيق غريزي: الجنس في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص29-30

[3]- نوال السعداوي: المرأة والجنس، ص161

ويوم تستطيع المرأة أن تحب بقوتها لا بضعفها، فلا تهرب من ذاتها بل لتكشف نفسها في مجال التعليم والتربية مثل الرجل.

إن الكاتبة غادة السمان عندما كانت طالبة في الجامعة، لم يكن باستطاعتها فهم وتقبل سلوك الشباب في عزل الفتيات خارج النشاطات السياسية والمناقشات الجدية ورفضهم لمشاركتهن بحجة أنه مع الفتيات ليس بإمكاننا التحدث جديا في السياسة ومشاكل المجتمع. فثارت الكاتبة على كل ذلك، و أول فرصة لتمردها كان يوم امتحان في الجامعة مع معرفتها المسبقة بأنها لكي تتقدم للامتحان، عليها أن ترتدي ثيابا طولة بأكمام طويلة مع غطاء للرأس، وقد حضرت بالفعل بهذا الشكل. ولندعها تروي الحكاية:

"كان لنا أستاذ جامعي قدير، يحرم على التلميذات الجلوس إلى جانب الشبان، ويفرد لهن الصفوف الأمامية بداعي تكريمهن، وإذا تصادف أن حدث أي خلل في ذلك، كان يثور بطريقة هستيرية كأن روحا تقمصته. كان هو يحشر فكرة الجنس في الصف حشرا، ولكثرة ما ينادي بالفضيلة كنا نشعر بأننا عراة! وكان يفرض على الفتيات وضع منديل يغطي الشعر على رؤوسهن في الصف.

هذا التمييز العنصري كان يثير جنوني. ويوم الامتحان الشفهي عند هذا الأستاذ القدير، كان مفهو ما لدينا أن على الفتاة التي لا تريد أن ترسب أن ترتدي ثوبا طويل الأكمال وتحمل معها عدة الامتحان. وجئت للامتحان بالزي المطلوب وأنا اتحرق. وحين نادوا اسمي انتابني ذلك الجنون الرائع الذي أحسه كلها انتهكت إنسانيتي فأرفض بلا حساب للنتائج....وبكل بساطة رميت بالإيشارب أي المنديل وشمرت أكمامي عن آخرها ودخلت إليه وأنا واثقة مما درسته. ولم أرسب يومها. لكنني أعتقد أنه لا شيئ يتبدل إذا لم يكن هناك مستعدا لدفع أي ثمن....إن شيئا لا يتحقق، لا تسبب إلا لأنه ليس هناك من يجرؤ على أن يتبع مبادئه حتى النهاية. إن كل المطلوب هو أن نكون منطقيين حتى النهاية ومهما كان الثمن". [1]

[1]- غالي شكري: غادة السمان بلا أجنحة، ص54

هكذا انطلقت الكاتبة في البدء مع نفس رؤية الأديبات العربيات الأخريات الطامحات إلى تحرير المرأة في مجالات التعليم والسياسة ومشاكل المجتمع وغيرها مثل الرجال فيها.

"إن الغرب بالنسبة لغادة السمان بشكل خاص ساهم في بناء شخصيتها كامرأة وكاتبة من خلال دراستها للآداب الغربية وقرائتها لكثير من الكتاب "سارتر، كامو، إيليوت، كافكا، وغيرهم" تذكر الكاتبة بأنها في تلك المرحلة قد دقت طويلا باب ثقافتها الشرقية تجد إجابة لعلامات الاستفهام العديدة التي تستجوبها، وعندما لم تحصل على رد كانت ثورتها في تجربة الحياة. وهكذا نرى أن تأثير الثقافة الغربية عليها كان أكيدا خاصة في معالجة المسائل الوجودية على طريقة الكتاب الذين أغنوا ثقافتها المتنوعة وبذلك قدرت على المعالجة العميقة لتجربة الضياع والغربة مع أبطالها الذين ولدوا تحت جناح التقاليد ورقابتها.

وأبطالها يزدادون ارتباطا بالشرق دون أن يتخلوا عن الذي اكتسبوه من الغرب. وبكلمة أخرى: إنهم يستعملون أدوات العقل الغربي في اكتشاف فضائلهم الشرقية"[1]

هكذا في كوابيس بيروت منحت الكاتبة للمرأة دور الخالقة والمخلوقة "في الكابوس"121" تذكر أن شابة واصلت دراستها لتصبح طبيبة نسائية لإثبات مقولة الأسرة التي ترفض أن تعالج الذكور إبنتهم وتمس أجسامهم، فلم تعد تشعر بنقصها أمام الرجل بل شعرت بالتس أو ي التام معه بل والتقدم بمعجزة الإنجاب، وصارت تجد التوليد عملا إبداعيا مناقضا للقتل من قبل مجتمع الذكور. وبهذا المعنى أصبحت الطبيبة رمزا للأم، للأرض، وللطبيعة" [2]هكذا تتفوق البنات في معظم الأحيان على الطلبة في مجال التعاليم المختلفة.

(3) عمل المرأة مثل عمل الرجل في المكتب والشركة.

[1]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، ص76
[2]- غادة السمان: كوابيس بيروت، ص191-192

كما قد تحدث عنه الدكتور عبد العزيز قريشي "قام الإسلام بالتسوية بين الرجل والمرأة في حق العمل، فأباح للمرأة أن تضطلع بالوظائف والأعمال المشروعة التي تحسن أدائها، ولا تتنافر مع طبيعتها، ولم يقيد هذا الحق إلا بما يحفظ للمرأة كرامتها، ويصونها عن التبذل."[1]

هل يقبل المجتمع طوعا المرأة الواعية الذكية؟ الواقع المحسوس وهو يؤكد أن المجتمع "لا يستطيع أن يعترف أن المرأة يمكن أن تتفوق وتنبغ دون أن تتحول إلى رجل. فالتفوق والنبوغ في نظر المجتمع صفة الرجل فحسب، فإذا ما أثبتت امرأة ما نبوغها بما لا يدع مجالا للشك، اعترف المجتمع بنبوغها وسحب منها شخصيتها كامرأة وضمها إلى جنس الرجل"[2]

ألم تكن ليلى السباك بنظر الرجال ذكرا في جسد أنثى؟ لأنها تطمح إلى أن تكون واحدة من اللاعبين بوعي وذكاء كي يعترف المجتمع بنبوغ المرأة، لا بد من ثورة شاملة تهدم كل الأسس والمفاهيم السائدة وتعيد بناء المجتمع على أسس المساواة والعدالة والإنسانية.

ولوضربنا مثلا من عن تحرير المرأة في مجال العمل لوجدنا غادة السمان "تجسد في روايتها "ليلة المليار" عدة شخصيات عربية نسائية منها: ليلى السباك وبحرية الزهران وكفى البيتموني ودنيا زوجة نديم وعنبرة صديقة وطفان ووالدة ليلى القروية، وكل شخصية من هذه الشخصيات تمثل وضعا نسائيا معينا على درب مسيرة المرأة العربية وتطورها"[3] منها ليلى السباك ابنة المرأة اللبنانية القروية التي بدأت حياتها محامية بعد دراسة الحقوق تتطلع إلى القيم النبيلة، ثم أغراها المال فأصبحت حليفة رغيد الزهران وشريكته تطمح أن تكون مليار ديرة، تخطط معه لإقامة احتفال أسماه "ليلة المليار" هو المبلغ الذي سيجنيانه من مشاريعهما المشتركة وتخلت عن حبها القديم للشاب الثوري أمير النيلي، وانجازت إلى فلك رغيد. ولكن في النهاية ليلى السباك رجعت خائبة عن المبلغ المتوقع من قبل رغيد الزهران وانتحرت بالسيارة في الطريق.

---

[1]- د-عمر بن عبد العزيز قريشي: المساواة بين الرجل والمرأة في حق العمل، www.alukah.net.16/12/2014

[2]- نوال السعداوي: المرأة والجنس، ص58

[3]- عبد اللطيف الأرناؤوط: غادة السمان، رحلة في أعمالها غير الكاملة، المرجع مذكور ، ص91-92

إن الكاتبة "قد رأت أن قضية المرأة والثورة الجنسية ليستا الناحيتين الأكثر أهمية وخطورة، فالمرأة هي عامل واحد ضمن عوامل أخرى هامة كثيرة في العدالة والتوازن المنشودين. فالعدالة في رأيها اجتماعية وإنسانية في الأساس وعلى الرجل والمرأة معا على السواء أن يكونا أبطال التبديلات سواء الاجتماعية أو الجنسية"[1]

وفقا لغادة السمان ليس على المرأة فقط أن تناضل من أجل تحررها، فالرجل أيضا بحاجة إلى الانعتاق من القمع الحالي والتقاليد الموروثة الطاغية والتي تثقل كاهله. كلاهما يعانيان ولكن المرأة تتحمل ظلما مضاعفا لأن الأعراف تمسها بشكل مباشر وتحصر مجال حركتها. فعلى المرأة أن تصبح عاملا فعالا قادرا على تنظيم وجودها ومشاركتها في مسيرة العالم العربي، والنضال مع الرجل لإرسال البنى الأساسية الضرورية. ومن أجل هذه المشاركة تس أو ي الحقوق، يجب التخلص من الأفكار المتحجرة كمجتمع متخلف مظلم.

وفي رواية **"كابيس بيروت"**، نجد تحقق بعض هذه التطلعات بصدد المرأة أكثر بكثير من باقي أعمالها، فنرى فيها أخيرا المرأة حرة، مسؤولة وفعالة. فبطلة الرواية ربما كانت هي الكاتبة نفسها التي قضت خمسة أيام حبيسة منزلها بسبب الحرب. ومع كل ذلك هي تجد القوة للخروج، لأنها ككاتبة عندها سلاح الفكر والشعور بالمسؤولية لضرورة أخذ موقف وللمواجهة والالتزام الإيجابي، ثم أن موقفها تحت القصف كان موقف الند بالنسبة للرجال.

إن الكاتبة تذكر: هل تكون شاربان للمرأة العاملة؟

لندعها تحكي هذا: "يسرني باستمرار أن تتولى امرأة جميلة الرأس منصبا سياسيا عاما يتطلب منها قوى فكرية تملأ ذلك الرأس.....

فالخطأ الشائع هو أن المرأة المتحررة هي بالضرورة بشعة ومهملة لأنوثتها، كأن استخدام أعضاء الجسد يتضمن بالضرورة تعطيلا لعمل الدماغ..... كأن استخدام الجسد هو ضد استعمال الدماغ..... كأن الجمال لقاح ضد الذكاء والجدية والعمق. والخطأ الذي تقع فيه أكثر

[1]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، ص67

حركات تحرير المرأة هو تركيزها على ضرورة إهمال المرأة لمظهرها بحجة رفض استخدامها كسلعة..... كأنه يجب أن ينبت للمرأة شاربان كي تكون حرة، ويجب أن تكون قذرة الشعر كي تكون مفكرة، ويجب أن تكون خشنة الصوت كي تتحدث في السياسة.

إن نظرتنا إلى المرأة ما تزال وليد عصور استعباد المرأة. ما نزال ندهش إذا اجتمع الجمال والذكاء في امرأة، كأننا نفترض أن المرأة الجميلة لا بد أن تنشغل بجمالها عن الحياة العامة ما دامت قاصرة العقل".[1]

(4) مساواة المرأة للرجل في جميع الحقوق.

إن الله خلقنا جميعا على حد سواء فأعلن حضرة بهاء الله المساواة بين الرجال والنساء "أن الرجل والمرأة كليهما عبيد لله وجميعهم بشر متساوون في الحقوق وليس عند الله رجل أو امرأة وكل شخص إلا أن تكون أعماله أحسن وإيمانه أحسن يكون أكثر تقربا من العتبة الإلهية. وفي العالم الإلهي ليس هناك ذكور وإناث وليس في عالم الملكوت ذكور وإناث والجميع واحد ولهذا فالرجال والنساء يجب أن يتحدوا ويتساووا"[2]

لما كان أكثر أهل العالم جهلاء فقد وضح أن الكل يجب أن يحصلوا على العلوم والفنون ويجب عليهم أن يدخلوا جميع الأطفال المدارس سواء في المدن أم في القرى وهذا فرض محتوم فإن عجز الأب فوجب على المجتمع البشري أن يعنيه حتى لا تبقى نفس بدون تربية.

إن الفرق بين النساء اللواتي يبعن أنفسهن عن طريق الدعارة والبغاء، وبين اللواتي يبعن أنفسهن بواسطة الزواج التقليدي ينحصر في ثمن ومدة عقد البيع فقط. فكما يحق للرجل اختيار المرأة بملإ إرادته لتشاركه الحياة، كذلك يحق للمرأة الشيء ذاته، ليكون الزواج مؤسسة قائمة على الحق والعدل والمساواة. بالإضافة إلى أن مشاعر المرأة لا تقل عن مشاعر الرجل في شأن الزواج. بل تزيده برهافة الإحساس. فهي أدق شعورا وأبعد حسا. "وتتطلب من

[1]- غادة السمان: الأعمال غير الكاملة 10، بيروت- دار الكتب، 1995، ص36
[2]- حضرة عبد البهاء: خطب عبد البهاء فيأو روبا وأمريكا، ص368

شريكها مواصفات نبيلة وخاصة، ولها أن تختار كما يختار، وترفض كما يرفض ما لم يتوافق مع الاختيار.....فاختيار الشريك أو الزوج من أبسط حقوق المرأة، فهي التي ستنعم بحسن الاختيار أو تدفع من سعادتها إن أخطأت التقدير"[1]

هذا من الظلم الكبير تذويب كينونة المرأة في كينونة الرجل، فلكل منهما خصائص ومميزات شخصية وإنسانية خاصة به، هذا ما أعلنته إحدى بطلات غادة السمان في "ليل الغرباء" واسمها ناديا أمام زوجها نادر في حوار حار:

"قال....إني أمنحك كنوزي، لنكون شيئا واحدا. وكانت القهو ة الحارة تندلق على يدي وتلهبها، وهو يكرر لنكن شيئا واحدا. لا أدري لماذا أو جدتني أصرخ مثله: لا أحد يستطيع أن يكون شيئا واحدا مع آخر. القهو ة اندلقت على يدي، فأحرقت يدي أنا ولم تحرق يدك، وآلمتني أنا لا أنت، وكنوزك لك ولا تهمني كثيرا لأنها لا تملك لي شيئا....."[2]

إن خضوع المرأة لرجل تكرهه ولا ترتبطها به أية رابطة روحية أو فكرية، نزولا عند مشيئة الأهل هو عذاب مرير بالنسبة إليها، وهو دعارة بالنسبة للإنسانية، لأن المرأة في هذا الوضع تهب جسدها قسرا لمن لا تريده، لا حبا أو رغبة في العطاء. ويمكن اعتبار الزواج من النواحي السياسية والمدنية والخلقية كقانون، كعقد، كظلم. لذلك ينبغي له أن يكون محط الاحترام العام. والموقعون على هذا العقد يملكون مطلق الحرية في الرفض أو القبول.

إن المرأة هي حلم الرجل الذي لا ينتهي، إنه حاضره ومستقبله، كذلك الرجل هو حلم المرأة المزدهر بالألوان :س "أية خيبة في اللحم والدم ردتني إلى أجواء الأبتر.....إلى حديث، لا أتجرع الرجل إلا بعد أن تحلله شحنات الليل والبخور إلى رجل مقطر في صوت،

[1]- سلمان اليحفوفي: ضمان الجنس في الإسلام، بيروت- الدار العالمية، 1984، ص63
[2]- غادة السمان: ليل الغرباء، ص 156

إلى حلم ليلة صيف"[1] في قصة "أنياب رجل وحيد" تكشف الكاتبة عن أهمية المرأة بالنسبة إلى الرجل، فتتساوى المعادلة، حيث المرأة هي ند الرجل لا دونه. فالمرأة هي واحة في صحراء الرجل القاحلة، يرتاح في كنفها بعد عناء طويل إنها الماء بالنسبة إلى الظمآن.

[1]- غادة السمان: لا بحر في بيروت، ص19

الفصل الثالث

حقوق المرأة وواجباتها

إن المرأة هي أن تكون شريكة للرجل وزميلة، لا لعبة يلهو بها ولا خادمة. فهي إنسان له جميع الحقوق الإنسانية التي ثابتة للرجل، وعليها أن لا تقبل إنكار أحد هذه الحقوق لها أو أن يعين لها طراز حياتها. عليها أن تخرج إلى الحياة الاجتماعية وأن تعمل فيها، لأن الدار أصغر من أن يستوعب كل إنسانيتها، كل قلبها وعقلها وجميع نشاطها أيضا. إن الرجال يتهمون المرأة بغير ذكية، غير شجاعة، غير سخية وغير بصيرة، هي لم تتفوق في الاكتشاف أو الاختراع، ولم تبرز في العلوم أو الفنون. وكل هذه التهم صحيحة. لأن المرأة تقضي حياتها محبوسة بين أربعة جدران في البيت.

ولوقدر لنا نحن الرجال أن نحبس كذلك لكنا في نفس الحالة التي تتهم بها ذلك أن الذكاء والشجاعة والسخاء والتبصر والاكتشاف والاختراع، كل هذه الأشياء هي بعض النشاط الاجتماعي الذي يدعونا إليه المجتمع، ويبعث فينا تلك العواطف التي تحثنا على النشاط الذهني أو الجنسي، فالحياة الاجتماعية في التربية والتعليم أهم من المدرسة والجامعة، لأن المرأ فيها يعيش بتجاربه وبكسب الخبرة والحكمة، وفيها تتكون القيم والفضائل.

"فإذا حرمنا إنسانا من الاختلاط بالمجتمع والإنتاج للمجتمع، فإننا بذلك نحرمه من الإحساس الاجتماعي بكل ما يحمل هذا الإحساس من مسؤولية وفضيلة وشرف وإنسانية. وهذا هو حال المرأة في مجتمعنا كما نعاملها الآن".[1]

هكذا نتطرق إلى حقوق المرأة وواجباتها والبعض منها:

الزواج: هو من الطبيعي أن يمثل "الزواج الدائم، العلاقة الإنسانية الطبيعية بين الرجل والمرأة، وهذه العلاقة تجعل الإنسان يعيش الإحساس بالسكينة والهدوء النفسي، والاستقرار الروحي الجسدي في علاقته بالآخر".[2]

[1]- بوعلي ياسين: حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة. دار الطليعة،سوريا-دمشق.1998، ص111
[2]- السيد محمد حسين فضل الله: تأملات إسلامية في المرأة.ص62

وبتزاوج الرجل والمرأة لا يعودان يشكلان سوى شخص واحد أمام القانون، يعني أن وجود المرأة ذاتها وجودها القانوني، علّق أثناء الزواج أو على الأقل إنها تجسدت في وجود زوجها.

النساء اللواتي يبدأن حياة الزواج بعد أن تم الزواج التقليدي كما قد تحدث عنه وفيق غريزي في كتابه "الجنس في أدب غادة السمان" "ينحصر في ثمن ومدة عقد البيع فقط، فكما يحق للرجل اختيار المرأة بكل إرادته تشاركه الحياة، كذلك يحق للمرأة الشيء ذاته، ليكون الزواج مؤسسة قائمة على الحق والعدل والمساواة. مع أن مشاعر المرأة لا تقل عن مشاعر الرجل في شأن الزواج، فهي أدق شعورا وأبعد حسا".[1]

فاختيار الشريك أو الزوج من أبسط حقوق المرأة.

إن الكاتبة الفرنسية سيمون دي بوفوار(1908-1986م) هي أشد تطرفا من غادة السمان بصدد الزواج لكونها في مجتمع يختلف عن مجتمعنا، هي ترى أن المرأة يجب أن ترفض الزواج. "أما غادة السمان فإنها لا تعتبر العائلة أو الزواج معيقا بالضرورة لتحرر المرأة، بل على العكس، بشرط أن لا يكون تقليديا.أي أنها تطالب بتطوير مؤسسة الأسرة العربية. وكل انتقاداتها للمجتمع العربي لاتعني أنها تحس بأنها منجذبة إلى المجتمع الغربي، فهي تنتقد العوائل المنتمية إلى البرجوازية العليا والتي تتبع ظاهرا سلوكا أوروبيا "فقط.[2]

إن الكاتبة باحثة البادية "في مقارنتها بين المرأة المصرية والمرأة الغربية هي تمتدح في المرأة الغربية استثمارها لمالها وحسن تدبيرها للاقتصاد المنزلي. كما تعترف لها بالسبق في العمل البيتي أو الخارجي، في حين لا تكترث نساء مصر الغنيات إلا بالملاهي والأزياء، والمتوسطات يأنفن عن العمل المنزلي. والفقيرات لا يُجدن أعمالهن وتلوم النساء المصريات

[1]- وفيق غريزي: الجنس في أدب غادة السمان، المرجع مذكور -ص50
[2]- باولادي كابوا: التمرد والالتزام في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص13

اللواتي يتبعن الموضة الغربية واللواتي يتبرجن. فهذا لن يزيد رغبة الرجال في الزواج بهن. إذ أول ما يشترطه الرجل في امرأته هو الحشمة وعدم البهرجة".[1]

إن الكاتبة تذكر حالة الرجل الشرقي أنه يريدها مجربة ولكن بلا تجربة يعني هو يزور البار في بيروت للتمتع بفتياتها بغض النظر عن زوجته الشرقية. "فحله ليس في أن تتحول نساؤنا إلى فتيات بار وإنما تنتفي حاجة الفرد العربي إلى فتاة البار التي تلعب اليوم في حياته البديل عن الجارية في الحريم.....وزاد استيرادنا للأجنبيات اللواتي نعاملهن معاملة خاصة بصفتهن خبيرات كما يعامل الخبراء في كل المهن.

ما تزال المرأة في ذهن الرجل الشرقي فئتين: شريفة، وغير شريفة. الشريفة هي التي يتزوجها ويشترط أن تكون عذراء فكريا وجسديا وبعد الزواج بأسابيع يهرب منها ضجرا إلى البار. لا أدري كيف نستطيع مطالبة فتاة لم يسمح لها بمغادرة بيتها أن تكون على المستوى الفكري لرجل درس مثلا في كمبرج و لديه علاقات عملية وفكرية ونشاطات واسعة المجال، كيف يريد منها أن تكون قادرة على الحوار وعلى تفهم حياته وعلى أن تكون شريكة كفاحه؟.....

الرجل الشرقي يطالب المرأة اليوم بشرط مستحيل: يطالبها بالفهم والذكاء والمشاركة الإنسانية ويحرم عليها حق الخبرة في كل المجالات. الخبرة تمكنها من الارتقاء إلى مشاركة كهذه....وهي بالطبع تفشل. المطلوب إطلاق سلاح طاقات المرأة كي تعمل، وتتعلم وتستقل وتخطئ وتتخذ القرارات كي تكون حقا الشريك الفكري للرجل، وكي لا يهرب الشاب إلى الحانات لإكمال شهو اته من الأجنبيات".[2]

قال قاسم أمين (1863-1908م)[3] بأمر الزواج إنه هو زواج المحبة. "في البداية ينتقد تعريف الفقهاء للزواج بأنه "عقد يملك به الرجل بضع المرأة" ويرى فيه انحطاطا عما جاء به

[1]- بوعلي ياسين: حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة، المرجع مذكور، ص72
[2]- غادة السمان: الأعمال غير الكاملة، 10، دار الكتب-بيروت،1995، ص43
[3]- د- حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، المرجع مذكور، ص422

القرآن "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" والعودة إلى أصول الدين وعوائد المسلمين السابقين تقتضي أخذ رأي البنت في الرجل الذي خطبها، وأن يحدث التعارف بينهما. والتعرف ليس فقط الشكل بل إلى الخلق ومدى ملاءمته مع رغبات الخطيبين وعواطفهما. الجاذبية الحسية ضرورية، لكنها غير كافية للزواج، فلا بد من التوافق بين نفوس المتزوجين، وهذا يستدعي المخالطة بينهما الرجل، ولو قليلا. فيجب أن يقوم الزواج على المحبة، أما الزواج على غير نظر، فهي طريقة يلجأ إليها الرجل في الغالب للاستمتاع بعدد من النساء يدخلن في حياته دفعة واحدة أو على التعاقب. ولا تجد فيه المرأة مزية ترضي نفسها".[1]

البكارة: قد رفضت غادة السمان البكارة كمقياس وحيد للأخلاق ولجودة البضاعة بمناسبة الزواج. كما يتذكر رغيد الزهران في رواية "ليلة المليار" عند رؤيته مثل هذه الصور. "نظرات الجميلات لحظة يتلقين أمر الطرد من فراشه بعد أن تمسه يد الرعشة المباشرة..... ويشعر بالأمان.....يحبها هكذا.....وببكاء الصبايا العذراوات لحظة تنفيذ عقد شراء البكارة ولحظة الطرد.....ولكن عددهن يتناقص كثيرا هذه الأيام، صارت العذراوات من القطع النادر، ومن يدري، فقد يضطر إلى استيرادهن عما قريب.....

يستقبله خادمه اللبناني نسيم ويقول: اتصل بك الأخ سري الدين.....عدة مرات....."[2]

فقالت غادة السمان إنها لا تجد البكارة بالضرورة العفة النفسية ولا الجسدية في عصر الفضاء حيث تحصل عليها برتقها من طريق التكنولوجيا مرات وكرات.

كما قد تحدث عنها وفيق غريزي في كتابه "وكم من النساء يتآكلن العهر في داخلهن ويعاشرن العشرات من الرجال، وتبقى بكارتهن سليمة ومحفوظة؟ فإن بقاء البكارة ليست

[1]- بوعلي ياسين: حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة، المرجع مذكور،ص52
[2]- غادة السمان: ليلة المليار، ط2، 1991، ص29

المقياس لطهارة المرأة وسمو أخلاقها، فوعيها وصدقها وفكرها المستنير وقوة شخصيتها كل هذه الصفات هي المقياس الحق لأخلاقيتها ونظافتها".[1]

حصول التعليم: إن حصول التعليم لازم على كل نوع البشرية، بدون التعليم يقضي الناس حياتهم في عالم الظلام، كما نسمع دائما أن المرأة نصف المجتمع والتي تلعب دورا هاما في بناء المجتمعات، لذلك لا بد من الاهتمام بتعليم الفتاة ولا بد أن يكون لها التفات الأهل، لأن الفتاة قد تكون أما في أي يوم من الأيام القادمة، فإن لم تكن متعلمة، من الصعب عليها تربية أبنائها تربية صحيحة وسليمة، كما أن تعليم الفتاة له أهمية بالغة متمثلة في أن يعطيها القدرة على التمييز بين الصحيح والخطأ وبين الحلال والحرام كما تستطيع أن تعرف ما عليها من حقوق وواجبات، ومنها تعليم الأبناء حسن الخلق، ويلتزم بالسلوكيات الحسنة، فالطفل يترعرع ويتعلم جميع السلوكيات الصادرة من أمه وأبيه. إن الأم المتعلمة باستطاعتها أن تدرّس أبنائها وتشجعهم على أهمية التعليم العالي. إن التعليم يعتبر للفتاة مثل سلاح يفرغها للقيام بالعمل وتأمين الحياة الكريمة، ويساعدها فيما لوتعرضت ظروفا صعبة. وإن مستوى الوعي يتقدم بالعلم لدى الفتاة وربما يذهب بها ذلك للمساهمة في تنمية المجتمع من خلال مشاركتها في الحياة السياسية وتوليها بعض المناصب في بعض المؤسسات العانية بحقوق المرأة. وتستقل المرأة عن الرجل وتعتمد على نفسها في توفير جميع حاجاتها من طريق عملها. وهي تحصل على وظيفة أحسن مما لو كانت غير متعلمة.

كما عبر جميل صدقي الزهاوي (1863-1936م)[2] عن آرائه في مسألة المرأة، "فبين فضلها ودافع عن حقوقها.

إنما المرأة والمرأ سواء في الجدارة علّموا المرأة فالمرأة عنوان الحضارة".[3]

[1]- وفيق غريزي: الجنس في أدب غادة السمان، المرجع مذكور، ص64
[2]- د- حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، المرجع مذكور، ص159
[3]- بوعلي ياسين: حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة، المرجع مذكور، ص76

تحكي غادة السمان في رواية **"كوابيس بيروت"** عن شابة تابعت دراستها الطبية. **"**هي جلست تتشاغل بصنع تمثال طفل من الطين....بعد الفراغ منها...وتنتظر رنين الهاتف...فقد يتم استدعاؤها لصنع طفل حقيقي...أصابعها تعبث بالطين...تكور الرأس....ترسم العينين والأذنين والشفتين.....يوم اختارت مهنة الطب، بالضبط مهنة طب التوليد اعتبر عملها ثورة نسائية في الأسرة....الابنة الخجولة ستتحرر وستكون طبيبة؟ لم يكن أحد يدري أنها بذلك تكرس خجلها الغريزي من الرجل وارتباكها أمامه إلى حد عجزها عن تفجير طاقاتها الخلاقة كلها، وإنها اختارت الطب النسائي كي لا تمس أصابعها جسد رجل...كانت تمارس مهنة التوليد بميكانية.....وبإتقان أيضا...عندما لا يرنّ الهاتف....عادت تشاغل بصنع طفلها الطيني الصغير....لم تعد مهنتها هربا من الاحتكاك بالذكور، بل صارت ترى في الولادة شيئا باهرا مضيئا، ونوعا من الطقوس المقدسة التي تعوض بها النساء وحشية مجتمع الذكور....صارت تنتظر رنين الهاتف الذي يدعوها إلى توليد امرأة بفارغ الصبر".[1]

هكذا تتفوق الفتاة في مجال العلوم المختلفة.

وقال سلامة موسى (1887-1958م)[2] "إن من الأفضل للمرأة أن تتعلم مهنة وتعمل بها قبل الزواج، فهي عندئذ تختار زوجها عن حب وتقدير، لا لمجرد أنه سيعيلها. من أجل ذلك عليها أن تتعرف عليه قبل الزواج. فتدرس أخلاقه وأهدافه وفلسفته في الحياة، وتتأكد من أنه ليس مزواجا مطلقا، أو من الذين يتزوجون بأكثر من واحدة...هكذا يدعو الكاتب إلى الاختلاط بين الجنسين"[3] لكي يتفاهم الأحد الآخر قبل أن يتم الزواج.

إن الكاتبة في رواية "ليلة المليار" تحكي عن ابنة المرأة اللبنانية القروية وهي "ليلى السباك التي بدأت حياتها محامية بعد أن تمت لها دراسة الحقوق. هي متطلعة إلى القيم النبيلة، ثم أغراها المال فصارت حليفة رغيد الزهران وشريكته، وتحرص على أن تكون مليار ديرة،

---

[1]- غادة السمان: كوابيس بيروت، ص191-192

[2]- د- حمدي السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، المرجع مذكور، ص246

[3]- بوعلي ياسين، حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة.المرجع مذكور، ص112-113

وتخطط معه لإقامة احتفال أسمياه "ليلة المليار" "[1] ولكن في آخر المطاف هي يئست من المبلغ المتوقع من رغيد الزهران فانتحرت في أثناء الطريق في السيارة.

السياسة: إنها "قد اعتبرت حقوق المرأة لفترة طويلة، جزء لا يتجزء من القانون الدولي لحقوق الإنسان، ولقد تجسد ذلك من خلال الأمم المتحدة، التي حرصت منذ نشأتها على التوجه الواحد في تأكيد حقوق الإنسان، فأشارت في ميثاقها إلى التساوي في الحقوق بين الرجال والنساء وأكدت في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948م، أن لكل إنسان حق التمتع بجميع الحقوق والحريات دونما تمييز من أي نوع ولا سيما بسبب الجنس".[2]

يعني حقوق المرأة في مجالات سياسية، قانونية، واجتماعية متساوية.

الحقوق السياسية للمرأة في المغرب: إن الدستور المغربي "يكفل حق المواطن المغربي في المشاركة مباشرة في الشؤون العامة للبلد أو عن طريق ممثلين عنه، وقد دعم هذا الحق مؤخرا بعد التعديل الدستوري الأخير 13 سبتمبر 1996م. ويتمتع كل من الرجل والمرأة بالمساواة في الحقوق السياسية إذ يحق لكل منهما أن ينتخب أو أن يكون منتخبا وفقا للمادة 8 من الدستور المغربي التي تنص: الرجل والمرأة متساويان في التمتع بالحقوق السياسية، وحسب المادة 12 من الدستور المغربي فإنه لجميع المغاربة الحق في تقلد الوظائف العامة".[3]

الحقوق السياسية للمرأة في سوريا: إن الحكومة السورية "أعطت المرأة حق الانتخاب في عام 1949م، ولكن بشرط حصولها على الشهادة الابتدائية. فكان هذا أول انتصار سياسي تتحصل عليه المرأة في الوطن العربي كله. وفي دستور عام 1953م، منحت المرأة حق الترشح والوصول إلى المجلس النيابي، ولكن ضاع هذ المكسب ولم تنل المرأة السورية حق الترشيح إلا عام 1959م عندما تم الاستفتاء على دستور الجمهو رية العربية المتحدة المؤقت.

---

[1]- عبد اللطيف الأرناؤوط: غادة السمان-رحلة في أعمالها غير الكاملة، المرجع مذكور ، ص99

[2]- -سرور طالبي الملّ: حقوق المرأة في الدول العربية خلال إصلاحات 2000-2008، ص8

[3]المرجع السابق، ص91

وتنص المادة 45 من الدستور الحالي: تكفل الدولة للمرأة جميع الفرص التي تتيح لها المساهمة الفعالة والكاملة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقصادية وتعمل على إزالة القيود والتي تمنع تطورها ومشاركتها في بناء المجتمع العربي الاشتراكي. ولقد حلم حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا منذ العام 1963م، بحيث استخدام النساء كقاعدة سياسية مساندة له، ففي السبعينات كان يتم تجنيد النساء في القوات المسلحة على نطاق واسع، وكانت تلك القوات تضم وحدة مظليات خاصة.

وفي الحكومة السورية الحالية توجد وزيرة واحدة هي السيدة بثينة شعبان وزيرة المغتربين، وتشكل النساء نحو خمس العاملين في الحكومة، لكن معظمهن يعملن في وظائف كتابية وإدارية. وفي المقابل إن أكبر نسبة مشاركة النساء في البرلمانات العربية موجودة في سوريا.

وتكتسب النساء في سوريا أيضا حق الالتحاق بالقوات المسلحة إذ تعمل حاليا 414 امرأة في أجهز الأمن والشرطة كما لسوريا سفيرة واحدة في الخارج. ويعتبر الاتحاد النسائي العربي السوري المنظمة السياسية المركزية للمرأة في سوريا".[1]

الحقوق السياسية للمرأة في لبنان: إن المادة 7 تنص من الدستور اللبناني "كل اللبنانيين سواء لدى القانون، وهم يتمتعون على السواء بالحقوق المدنية والسياسية ويتحملون الفرائض والواجبات العامة بدون تمييز بينهم. ومع هذا فإن المرأة في لبنان ما زالت مستبعدة إلى حد كبير عن المؤسسات السياسية رغم الدور النشيط والفعال الذي تلعبه في مجال التعليم والاقتصاد وخاصة الإعلام.

[1]- د-سرور طالبي المل: نفس المصدر، ص97-98

لقد وصلت أول امرأة في تاريخ لبنان إلى مناصب وزارية إلا في عام 2004م، حيث عينت وزيرة في حكومة عمر كرامي التي عاشت 4 أشهر، ولقد وصلت في الانتخابات البلدية الجارية عام 1998م إلى عضوية المجالس البلدية 78 امرأة.

وأما فيما يخص القضاء، فقد وصل عدد القضاة الإناث إلى مئة، ومعظم القضاة الذين يدخلون إلى معهد القضاة هم من الإناث. ومعظم الطلبة في كليات الحقوق هم من الإناث.

وتبذل المنظمات غير الحكومية في لبنان جهودا طوعية مستمرة وملتزمة سعيا وراء القضاء على التمييز ضد المرأة، فهي تعمل على إعادة تأهيل النساء اللبنانيات وحمايتهن ومساعدتهن".[1]

تذكر هنا الكاتبة عن بعض النساء اللواتي لعبن دورا هاما في مجال السياسة ورفضت قول توما الأكويني (1225-1274م) الذي كتب "إن المرأة قد كتب عليها أن تحيا تحت هيمنة الرجل وأن لا تكون لها أية سلطة" أن تم منذ أيام انتخاب السيدة انجي بروكس رئيسة للجمعية العمومية للأم المتحدة، وتكون ثاني امرأة ترأس الجمعية العمومية بعد فيجايا لاكشمي باندیت (1900-1990م) التي رأست دورة 1953م، كان شقيقها جواهر لال نهرو (1889-1964م).

والجدير بالذكر أن انجي بروكس (1928-2007م)، الرئيسة الجديدة ليست امرأة فحسب بل ولقيطة ومطلقة وزنجية. وهي بوصولها إلى هذا المنصب العالمي الكبير إنما تذكر ليس بانهيار أسطورة تخلف المرأة فحسب، بل وبانهيار أفكار أخرى بالية.

والأهم هنا هو أنها محامية محترفة. كانت أستاذة للحقوق في جامعة ليبريا. كما كانت في الوقت نفسه مساعدة لوزير العدل. وبعد أصبحت مساعدة لوزير الخارجية. ومثلت بلادها في الجمعية العمومية منذ الدورة التاسعة 1954م، وتلقت علومها العالية في الجامعات البريطانية والأميركية.

[1]- د-سرور طالبي المل: نفس المصدر، ص96-97

ورغم أن كتب الهند القديمة المقدسة تحرم المرأة من الحق في الحرية وفي امتلاك الثروة ، فإن امرأة هندية، هي إنديرا غاندي (1917-1984م) استطاعت أن تحقق لبلادها ما عجز عن تحقيقه حتى والدها الباندیت نهرو. فالمعروف أن إنديرا غاندي لم تؤيد السيد ريدي مرشح حزب المؤتمر، وإنما أيدت مرشحا تقدميا هو مور راجي ديساي (1896-1995م)، وعلقت مصيرها السياسي بأكمله على نجاحه، سواء رضي حزبها أم لم يرض.....ونجح.....وانتصرت.....

والدور الذي تلعبه المرأة في المئة سنة الأخيرة من عمر الإنسانية القصيرة جدا. صار في حاجة إلى إعادة النظر في تفسيراتنا التقليدية لانتصارات المرأة. وإن انتخاب انجي بروكس يدعونا إلى القول: يا نساء العالم اتحدوا. لا اتحدن".[1]

[1]-غادة السمان: الأعمال غير الكاملة، منشورات غادة السمان، بيروت، 1995، ص44-45

خاتمة البحث

إن المرأة سجلت حضورها في صناعة التاريخ بمختلف مراحله بمساهمتها الفعالة حيث خلدت لنا قائمة طويلة من الأسماء العظيمة التي كانت ولا تزال مثالا للشجاعة والبطولة والتضحية والمثابرة ومقاومة للخوف والجوع والجهل، وإن المرأة بقيت وفية لنضالها ووطنها مكتملة مشوارها في معركة إثبات نفسها في ميادين مختلفة من الإبداع الأدبي فعبرت عن حضورها في هذا المجال معالجة الكثير من القضايا النسوية والاجتماعية ولكن من وجهة نظرها.

حيث رأت أن قضاياها لا تستمد من عمل روائي واحد بل من عدة أعمال روائية لعدة كتاب، وإن صورة المرأة تكون مرتبطة بالواقع الذي نعيشه ونتجاوزه إلى ذهنية الكاتب وجوانبه الفنية والمثالية، فإن الصورة العامة للمرأة صورة فكرية وفنية في الوقت نفسه.

ومن هنا توصلت إلى جملة النتائج بعد دراسة روايات غادة السمان ومن أهمها:

- أن الروائية غادة السمان جعلت أبطال رواياتها معظم شخصيات نسائية لأنها تحمل قضية المرأة العربية التي تنتقص حقوقها وتهدر إمكاناتها، لكن هذا لا يعني إهمال الرجل وإظهاره في صفات ثانوية.
- اختيار الكاتبة غادة السمان معظم الشخصيات من الواقع السوري الدمشقي.
- تحمل بطلاتها ثقافات وآراءا خاصة يمكن تفسيرها من خلال آرائها وطبيعة شخصيتها.
- تنوع الصور داخل رواية قيد الدراسة فقد جاءت متعلمة، عاملة، مسترجلة، وعشيقة.

- قد عكست الكاتبة الصورة النمطية للمرأة فبدل أن تجسدها ضعيفة ومقهورة كالعادة، ومسلوبة الحقوق، فقد جعلتها مسترجلة وطاغية، والرجل يعاني من الضعف،والإهانة والذل والاحتقار.
- معظم الشخصيات النسائية يواجهن اغترابا نفسيا داخليا في واقعهن المعيشي ويحاولن التغلب عليه ومسايرة الواقع.
- كشفت الكاتبة عن مشاكل المرأة خاصة والمجتمع السوري عامة.
- أرادت الروائية تغيير وجهة النظر إيزاء المرأة، ليس من أجل تقزيم مكانة الرجل، وتهميشه بقدر ما أرادت لفت الانتباه لقضية حساسة موجودة في المجتمع.

وفي النهاية نقول إن الكاتبة غادة السمان تعدّ من أهم الروائيات السوريات الرائدات اللواتي سعين إلى منح المرأة حقوقها من خلال تقمص المرأة لصورة الرجل لتبين لهم مدى معاناتها من ظلمه وجبروته وجوره

المصادر والمراجع

- إبراهيم عبد القادر المازني: "إبراهيم الكاتب"، مكتبة مصر، القاهرة، 1998م.
- إبراهيم عبد القادر المازني: "ثلاثة رجال وامرأة"، دار الشعب، 1981م.
- إبراهيم عبد القادر المازني: "إبراهيم الثاني"، دار الهدى للتأليف والنشر والتوزيع، 2000م.
- باولادي كابوا: "التمرد والالتزام في أدب غادة السمان"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1992م.
- بوعلي ياسين: "حقوق المرأة في الكتابة العربية منذ عصر النهضة"، دار الطليعة، سوريا- دمشق، 1998م.
- توفيق الحكيم: عودة الروح، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، القاهرة، الطبعة الرابعة،1957م.
- حنا مينة: "المرصد"، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثانية، 1983م.
- حنا مينة: "الرحيل عند الغروب"، دار الآداب، بيروت، 1992م.
- حنا مينة: "الثلج يأتي من النافذة"، دار الآداب، بيروت، الطبعة الخامسة، 1985م.
- حنا مينة: "المصابيح الزرق"، دار الآداب، بيروت، 1986م.
- الدكتور حمدي السكوت: "قاموس الأدب العربي الحديث" دار الشروق، القاهرة، مصر 2006م.
- الدكتورة إلهام غالي: "غادة السمان- الحب والحرب" دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986م.
- د- ماجدة حمّود: "جماليات المغامرة الروائية لدى غادة السمان"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،الطبعة الأولى، 2005م.

- الدكتور طه وادي: "صورة المرأة في الرواية المعاصرة" دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، 1994م.
- ر- م. ألبيريس: "تاريخ الرواية الحديثة"، ترجمه جورج سالم، ط 2، منشورات عويدات، بيروت- باريس، 1982م.
- السيد محمد حسين فضل الله: "تأملات إسلامية في المرأة"، دار الملاك، بيروت، 1991م.
- سلمان اليحفوفي: "ضمان الجنس في الإسلام"، الدار العالمية، بيروت، 1984م.
- عفيف فراج: "الحرية في أدب المرأة"، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1978م.
- عبد اللطيف الأرناؤوط: "غادة السمان رحلة في أعمالها غير الكاملة"، دمشق- سورية،الطبعة الأولى، 1993م.
- عبد الرحمن منيف: "بادية الظلمات"، المؤسسة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.
- عبد الرحمن منيف: "شرق المتوسط"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999م.
- عبد الرحمن منيف: "الأشجار واغتيال مرزوق"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1971م.
- عبد الرحمن منيف: "الديمقراطية أولا...الديمقراطية دائما"، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، الطبعة الثالثة، 1995م.
- غادة السمان: "ليلة المليار" منشورات غادة السمان، بيروت، الطبعة الأولى، 1986م.
- غادة السمان: "الرواية المستحيلة: فسيفساء دمشقية" منشورات غادة السمان، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.

- غادة السمان: "سهرة تنكرية للموتى"، منشورات غادة السمان، بيروت، ، الطبعة الأولى، 2003م.
- غادة السمان: "كوابيس بيروت"، منشورات غادة السمان، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 1977م.
- غادة السمان: "بيروت 75" منشورات غادة السمان، بيروت، الطبعة الأولى، 1975م.
- غادة السمان: "رحيل المرافئ القديمة" منشورات غادة السمان، بيروت، الطبعة الأولى، 1973م.
- غادة السمان: "ليل الغرباء"، منشورات غادة السمان، بيروت، الطبعة الأولى، 1966م.
- غادة السمان: "لابحر في بيروت"، منشورات غادة السمان، بيروت، الطبعة الأولى، 1963م.
- غادة السمان: "القبيلة تستجوب القتيلة"، منشورات غادة السمان، بيروت، الطبعة الأولى، 1981م
- غادة السمان: "الأعمال غير الكاملة 10"، دار الكتب، بيروت، 1995م.
- غادة السمان: "صفارة انذار داخل رأسي"، منشورات غادة السمان، بيروت، 1980م.
- محمد حسين هيكل: "زينب"، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 2006م.
- محمود طاهر لاشين: "حواء بلا آدم"، القاهرة، مطبعة الاعتماد بالقاهرة، 1934م.
- محمد دكروب: "شخصيات وأدوار في الثقافة العربية الحديثة"، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.
- نوال السعداوي: "المرأة والجنس"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1972م.

- وفيق غريزي: "الجنس في أدب غادة السمان"، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، 2000م.

المواقع الإلكترونية

- https://wikipedia.org/wiki/سوريا
- www.marefa.org/index.php/مدرسة-اللاييك
- https://ar.wikipedia.org/wiki/جامعة-دمشق
- https://ar.wikipedia.org/wiki/ غادة-السمان
- https://ar.wikipedia.org/wiki/سوريا
- www.alwasatnews.com/news/257881.html
- www.souriat.com/2017/06/40145.html
- www.alukah.net.16/12/2014
- https://ar.wikipedia.org/wiki/سيمون-دي-بوفوار

محتويات البحث

رقم	العناوين	صفحة
1	مقدمة البحث	3-8
2	الباب الأول: حياة غادة السمان	9-47
3	الفصل الأول: مولدها ونشأتها	9-16
4	الفصل الثاني: العوامل المؤثرة في حياة غادة السمان	17-22
5	الفصل الثالث: مساهمات غادة السمان في إثراء اللغة العربية	23-47
6	الباب الثاني: صورة المرأة في الرواية المعاصرة	48-83
7	الفصل الأول: صورة المرأة في الرواية الحديثة	48-59
8	الفصل الثاني: صورة المرأة في الرواية العربية	60-70
9	الفصل الثالث: صورة أوضاع المرأة الاجتماعية	71-83
10	الباب الثالث: مساهمات غادة السمان في نهضة المرأة المعاصرة	84-123
11	الفصل الأول: القضايا النسوية في روايات غادة السمان	84-96
12	الفصل الثاني: المساواة بين الرجال والنساء في روايات غادة السمان	97-112
13	الفصل الثالث: حقوق المرأة وواجباتها	113-123
14	خاتمة البحث	124-125
15	المصادر والمراجع	126-129

Al marah fi Rewayaat-e- Ghada al Samman

Woman in Novels of Ghada al Samman

Dissertation submitted to Jawaharlal Nehru University

in partial fulfillment of the requirements for the awards of the degree of

MASTER OF PHILOSOPHY

BY

MOHD. NAZIM HUSSAIN

Under the supervision of

Prof. RIZWANUR RAHMAN

Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067
2017